سلوى الحوماني

مطلع الفجر

توزيع شركة فرج الله



بتقديم بقلم المؤلف

إهداء

إلى النفحة السماوية التى هبطت أرض العرب ، فغرست فيها اخضرار الزمن . . . وتدفق الحياة . . وروعة الخلود . . .

إلى دفقة النور التى أشرقت فى الوطن العربى فملأت آفاقه بالإشراق . . .

إلى الفجر الذى بزغ فى دنيا العرب فأشرق فى تاريخها مجداً عريقاً . . وعزاً شامخاً . . وخلوداً . .

إلى بانى الأمة العربية ورافع صرحها ، ومخلص المرأة ومنقذ الإنسانية ، محمد بن عبد الله معجزة الزمن ومفخرة أمة العرب ، أهدى كتابى هذا الذى يحمل أنفاس هذه الأمة التى تستقبل الفجر بعد ليل طويل . . .

المؤلف

تعريف

مطلع الفجر :

كتاب اجتماعى قومى يصور فجر النهضة والوعى القومى الجديد فى أنحاء الوطن العربى الكبير . فيمشى مع خيوطه النورانية ويعرض صوراً لمظاهر النهضة فى المجالين الاجتماعى والقومى وخاصة عند المرأة ، ثم يصارع طبقات الظلام فى الأفق العربى التى لم تمتد إليها بعد أشعة الفجر ولم تمحها من النفس العربية المتوثبة نحو النور .

ويحتوى هذا الكتاب على ستة عشر موضوعاً ؛ عبارة عن نظرات فى أنحاء العالم العربى وعرض وتحليل لأدوائه ومشاكله ، وآراء فى حلها ومعالجتها ، فتشمل اللغة العربية بتضاؤلها على السنة أبنائها ، والمرأة بوضعها الحائر ، والشعور القومى العربى بمده وجزره ، والمجتمع العربى بين الرجعية القاتلة والعصرية المتطرفة ، ويصور النفس العربية الغارقة بمشاكل الأجنبى المستعمر فى أنحاء الوطن العربى الكبير .

وتنضوى مواضيع الكتاب كلها تحت راية الوحدة العربية الكبرى والشعور القومى العربى فى الوطن المترامى الأطراف .

فغاية الكتاب ، المساهمة فى إحياء هذا الشعور بين أبناء العروبة وإثارتها فى حياتهم لتحتل كل نفس وتملك كل احساس ، لتوقظ الشخصية العربية الخلاقه ولتكون الوحدة العربية هدفنا ؛ هدفنا فى أنحاء وطننا الكبير ، فتوحد جهودنا وتوجه خطانا فى طريق النصر . . النصر على الأجنبى المتحكم فينا ، وبذلك انتصار لنا على أدوائنا ومشاكلنا الاجتماعية ومآسينا القومية .

المؤلفة

مقدمة

جرت العادة أن يعمد المؤلف أو الناظم أحيانا كثيرة في تقديم كتابه للقراء ، إلى وساطة أحد الكتاب الكبار الذائعي الصيت أو الشعراء الفحول ، فيكونوا « واسطة خير » بينه وبين قرائه ، يرفعون من شأن الكتاب في نظرهم ويمدحون صاحبه بمقدمة ينشرها وقد اطمأنت نفسه إلى الشهرة السريعة السهلة المنال ، غير حاسب حسابا لما قد يتخلل تلك المقدمة من مجاملة ، وما قد يبدو فيها من تكلف وتصنع وما قد يتستر وراء سطورها من نفور وإحراج .

وأمام هذه الشهرة المرتجلة ، يهون على المؤلف أن يضع بينه وبين قرائه شخصا آخر يقدم إليهم أفكاره ويصف لهم خلجات نفسه محيطا إياها بإطار من المدح الذي قد يكون متكلفا ومن التقريظ الذي قد يكون من قلم المقدم فقط لا من قلبه ، مما لا ينسجم مع الذوق السليم الذي لا يقبل هذه الوساطة في الأدب ، ولا مع رسالة الأديب التي يجب أن تظهر للناس على حقيقتها ، غير محاطة بتلك الهالة البراقة من غير صاحبها . فلا تحمل إلا جهوده وطابعه لتعطي نتيجتها صافية غير مغشاة ، وصادقة غير معماة . .

وأخيرا لا تتفق أيضا مع الشخصية الحرة للأديب الذى يجب أن يعتمد على إنتاجه لا على إنتاج غيره ، وأن يقدم لمعات فكره للملأ خالية من تلك الدعاية الزائفة التى يكتبها المقدم المشهور ، فيكون الحكم بحياة تلك الأفكار أو موتها للقارىء ، وللقارىء وحده .

هذا ما جال بفكرى وأنا أهم بطبع كتابى عندما أشار علىّ بعض الأصدقاء أن أضع له مقدمة من قلم أحد أدبائنا الذائعى الصيت أو عباقرتنا على اعتبار أن تزيد تلك الهالة اتساعا ونورا حول اسم الكتاب وصاحب الكتاب ومواد الكتاب أيضا كلما زاد اسم المقدم ضخامة وسموا .

وشق على هذا ، ولم أستسغ ذلك الثوب القشيب الذى قد يلبسنى إياه أحدهم بغير استحقاق . ولم أشأ أن أتوارى عن قارئى خلف مقدمة براقة من أحد المشهورين ، فأسرعت أمسك القلم وأقف أمام قارئى وجها لوجه ، أقدم له نتاج أفكارى مجردا من الزخرف ، ليحكم هذا النتاج على نفسه بنفسه فى معركة الفكر ، ويقرر مصير القلم الذى صوره .

وإننى لآمل وأنا أقدم كتابى هذا لأخى القارىء أن أكون قد ساهمت فيه بخدمة هذا الوطن العزيز ، المضطرب فى حياته الاجتماعية والقومية وهو فى فترته الانتقالية هذه يغلى غليانا بأدوائه الكثيرة وتياراته المختلفة المتباينة وأمواجه المتلاطمة ، فحاولت بقلمى أن أجول

بين هذه الأمواج وأسبر غور تلك التيارات ، وأجد علاجاً لتلك الأدواء الكثيرة المختلفة فى جسم وطننا الكبير أو لبعضها ، وتلك أكثر من أن يحصيها قلم واحد ، وأشد من أن يصل إلى علاجها كلها همة شخص وحده وجهود إنسان فرد .

وإن ما يبعث على الأمل فى الوطن العربى الكبير أن نرى تلك النفحات القليلة المباركة من أبناء العروبة الأوفياء تسعى جاهدة وسط ذلك الجو المكفهر بعشا كل هذا الوطن لتشق طريق الخلاص بأقلامها حيناً وبعرقها ودمائها حيناً آخر فتترك وراءها خطوطا بيضاء جميلة تفعم القلب بهجة ورضى ، هى تلك الخيوط اللجينية من أشعة الفجر الذى أطل فى أفقنا ، فجر الوعى العربى الجديد . . .

وأنوار الفجر هذا هى تباشير الوحدة العربية الكبرى وبشائر البعث فى كيان وطننا الكبير ، وهذه الأشعة النورانية هى إحياء قوميتنا ولم شعثنا وهى العقيدة الواحدة والمبدأ الفرد الذى سيتجه بنا اتجاها واحدا فى طريق واحدة هى طريق نصرة هدفنا وسيادتنا .

وإذا وجدت هذه العقيدة فى أمة من الأمم ، وإذا شمل ذلك المبدأ الواحد الفرد شعباً من الشعوب فانضوى ذلك الشعب تحت لوائه ودان بدينه وانطبع بطابعه سار هذا الشعب وسارت تلك الأمة بخطى ثابتة قوية فى طريق المجد . . .

فالنفس يدركها الضعف والانحلال إذا كثرت نزعاتها وتعددت أهواؤها واختلفت هذه الأهواء وتباينت ، والجسم يدركه الهلاك المحتوم إن لم تحركه إرادة واحدة وغاية واحدة وهدف واحد ، وكذلك الرأس لا يمكن له أن يرتفع إن لم تسيره دفة واحـدة من الحكمة والدراية والمصلحة .

والوطن العربى الكبير هو كبقية الأمم مثل الرأس ومثل هذا الجسم ومثل هذه النفس ، هو كهذه الكائنات التى تديرها قواها الكامنة فتحيا تلك بوحدة اتجاه هذه . وتفسد وتنهار كلما تطرق إلى هذه التفكك والتشقق وتفريق الجهود .

ولن ينقذ هذا الوطن من أدوائه الكثيرة التى يتضح كثير منها فى هذا الكتاب ولن يخلص وطننا هذا من آلامه ودموعه التى سيرى القارىء جلها فى صفحات هذا الكتاب ، أقول لن ينقذه إلا العقيدة الواحدة والهدف الواحد يوحدان جهودنا فى طريق الخلاص . ولن تجدينا تلك العقيدة أو يفيدنا ذلك الهدف إلا إذا انحصرت فى سيادة القومية العربية وانحصر هو فى وحـــدة الوطن العربى الكبير .

عند ذلك ستهب الأمة العربية هبة رجل واحد وتلقى بالمستعمر فى البحر فتذهب معه دموعنا وآلامنا التى هى من أوشابه وأذنابه .

وسيتم لنا هذا ما دمنا قد بدأنا الطريق ، وابتدأ المتنورون الخلص من أبناء العروبة يسعون إلى توحيد الجهود فى الوطن العربى تحت راية القومية العربية ومبدأ هذا الوطن العزيز .

وسيتحقق حتما إذا بدأنا بالتربية القومية القوية الفعالة نطبع بها صغارنا وننبها ناشئتنا بل ونغذى بها أطفالنا مع اللبن . وإن هذه التربية هى التى ستحيى نفوسنا التى حطمها المستعمر وتملأ شعورنا بأمجادنا العربية وتعيد إلينا قوانا وتبنى شخصيتنا فنفرضها على هذا العدم الذى نحن فيه . . .

وإننى لأتذكر قصة تلك الفرنسية المتنورة التى ربت ولدها بشكل عملى فعال مفهوم لدى الطفل ، ربته على كره أعداء وطنها الإنكليز عندما نفوا نابليون الأول من وطنه ، كانت تطعم طفلها الحلوى الجيدة مسمية إياها نابليون وتطعمه الحلوى الرديئة مسمية إياها « جورج الإنكليزى » حتى تطبع طفلها بتلك الطريقة الحاذقة على كره الإنكليز أعداء وطنها وعلى حب ذلك الوطن ومنقذه وسيده .

ولعمرى إن هذا النمط من التربية لو باشرناه لحققنا أملنا المنشود فى الانتصار .

ولعل فجر هذا الوعى العربى واصل بنا إلى تلك التربية فيتألق بها إلى أن نراه ضحى ثم تعتلى شمس مجدنا قبة الفلك من جديد .

وأخيراً إني لأرجو ثانيا أن أكون قد أديت خدمة لهذا الوطن العزيز في كتابي هذا الذي ينطوي تحت لواء عقيدة العروبة الحقة ومبدأ الوطن العربي الكبير ، والذي مشيت فيه مع تلك الخيوط الضوئية من فجرنا هذا فعرضت صوراً لمظاهر النهضة في المجالين الاجتماعي والقومي كما عارضت سحب الظلام التي لم تمتد إليها بعد أشعة هذا الفجر ولم تمحها هذه الأشعة من النفس العربية المتوثبة نحو النور .

مارس ١٩٥٦ المؤلف

مشاكل المرأة العربية

محاضرة ألقيت في نادي الأصفياء
وندوة جمعية الشبان المسلمين في مصر »

مشكلات المرأة العربية

تجتاز المرأة العربية اليوم أدق المراحل التى عرفتها فى تاريخها القديم والحديث ألا وهى مرحلة التكوين ، فهى الآن تنفض عنها غبار الجهل والرجعية وتسعى لتكوين نفسها من جديد كإنسان مستنير له قيمته ومركزه وأهميته ، هذه الأهمية المنبثقة من صميم الواقع وقلب الحقيقة وأعماق نهضتنا العربية الكبرى التى لا يمكن أن تتم وتتحقق أهدافها وتعطى ثمارها المرجوة إلا إذا ساهمت المرأة فيها بنصيب كبير ، فشملت هذه النهضة المرأة والرجل على السواء واحتضنت الاثنين بمستوى واحد وغذتهما معاً بمقدار واحد .

والمرأة كما لا يخفى هى مرآة الأمة وقد قيل هذا منذ القدم . ونحن اليوم نستطيع أن نقول إنها أم الأمة وصانعة الأجيال التى تلونها بلونها الخاص وتطبعها بطابعها .

والمرأة العربية بالرغم من أهميتها هذه بالنسبة لمجموع الأمة ، تلاقى مصاعب ومشاق عظيمة فى نهضتها ومحاولتها التخلص من بقايا الماضى المظلم ، من بقايا الأيام التى كانت الأمة العربية قد نسيت نفسها فيها فوقعت فى وهدة من الجهل والشقاء تحطمت فيها المرأة أكثر مما تحطم الرجل وتجرعت من مرارتها أكثر مما تجرع هو .

أقول إن المرأة تلاقى مصاعب ومشاق فى نهضتها هذه ، فهى وحدها فى الميدان وأمامها سيطرة الجهل والرجعية وليدة العصور المظلمة .

والرجعية هى أولى مشاكل الجيل العربى الصاعد ، والعقبة الكأداء فى سبيل تقدم المرأة بصفة خاصة ، لما لها من مساس قوى بحياتها ، إذ قيدتها بتقاليد رثة بالية أفقدتها كثيرا من سعادتها ومواهبها .

وبالرغم من جهاد المرأة للتخلص من هذا السم البطىء ، وبالرغم من العقبات التى تلاقيها فى هذا الجهاد المر نراها ما زالت أسيرة الرجعية إلى حد كبير . وأقول هذا وأعنى المرأة العربية بصفة عامة فى كل أنحاء الوطن العربى الكبير ، لأن العادات فيها واحدة تقريبا والتقاليد واحدة والتشدد فى تقييد المرأة فيها إلى درجة حرمانها من العلم على وجه العموم أو إنالتها النزر اليسير منه وذلك بسبب إهمالها أى إهمال المرأة من جهة وبدافع الرجعية الفتاكة من جهة أخرى .

ومنهم من يفعل ذلك بحجة الدين ، والدين من ذلك براء ، والشريعة السمحة تقول لنا : إن العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، والإسلام هو الذى رفع مستوى المرأة وهو الذى حررها من الجهل والعبودية . والقرآن الكريم غنى بالآيات التى تدل على ذلك والأحاديث الشريفة مفعمة بهذه المعانى ، وما كانت المرأة منحطة جاهلة فى العهد العباسى الزاهر بمدنية الإسلام ولا فى الأندلس .

وهذه العقلية الرجعية التى حرمت المرأة من العلم بوجه عام

ومن مساواة أخيها فيه نسبياً ، قد خلقت مشكلة أخرى للمرأة هى عدم انسجام عقليتها مع عقلية زوجها وعدم تفاهمهما واختلاف نظرتهما للحياة وما يترتب على ذلك غالباً من خلافات بينهما وشقاء للمرأة والأسرة كلها ونتائج قاسية كثيرا ما يكون منها الانفصال .

والرجعية ، هذه ، الكلمة البغيضة إلى كل عربى متوثب نحو النور ، هى متشعبة المعنى كثيرة النواحى تكاد تكون متسربة فى حياة المرأة تسرب الماء فى الطين ، تتحكم لا بحياتها الداخلية والخارجية فحسب ، بل تتحكم حتى فى لباسها وحتى فى تفكيرها وحتى فى الهواء الذى تتنفسه إذ لا يزال غطاء الوجه باسطا سلطانه على حياة المرأة العربية على العموم فى كل أنحاء وطنها الكبير لدرجة أنه يوجد قانون فى بعض البلاد العربية يفرض على المرأة المواطنة فيها وهى تلبس العباءة التى تطمرها من رأسها لأخمص قدميها ، تفرض عليها إذا كشفت وجهها أمام رجل من غير محرمها أن تجلد وهى موضوعة داخل كيس مقفل عليها بابه . لذلك كثيراً ما تراها محتفظة بغطاء وجهها حتى أمام النساء لشدة الخوف .

وهذا الحال يوجد ما يماثله أو يقرب منه فى كثير من بلاد الجزيرة العربية .

وفى بلد عربى آخر تفتخر المرأة الشريفة بأنها لم تخرج من بيتها كل حياتها حتى إلى بيت أهلها مهما عمهم من مصائب أو أفراح

إذ أن مصطلح المرأة الشريفة عندهم أن لا تخرج من بيتها كل حياتها سوى مرتين الأولى لبيت زوجها والثانية إلى القبر : هذا مع العلم بأن المرأة هناك على العموم تلبس ما يشبه الإحرام تلف به كل جسدها بما فيه رأسها ووجهها عدا ثقب صغير لعين واحدة تتبين منه طريقها . هذا إذا خرجت مضطرة ولم تتمسك بقانون الشرف .

هذا فى البلاد العربية التى لم تقطع شوطاً كبيراً فى ميدان الرقى . وأما فى البلاد العربية المتمدنة نسبياً ، فيؤسفنا جداً أن نرى الحجاب أحيانا يرافق المرأة حتى إلى الجامعة فيكبت شعورها الزاخر بكرامتها وتوثبها نحو النور .

كل هذا يرتكب فى حق المرأة باسم الدين والدين أسمى من ذلك إذ لم يرد فيه إثبات يحتم حجب المرأة بهذا الشكل الذى هو وأد لهذا العنصر الهام فى حياة الأمة . وإنما هى الرجعية ، وليدة العصور المظلمة .

وكما أسلفت ، أن المرأة جاهدت ولا تزال تبذل الجهد للتخلص من قيود الرجعية هذه المقيتة ولكن مع ذلك وكما بينا ونحن نبسط حالها ، لا تزال هذه القيود بكل معانى الرجعية العديدة ، تكون لها مشكلة هامة انبثقت عنها عدة مشاكل حساسة ، أولها جهلها على العموم وانحطاطها بالنسبة للرجل .

ونعرف فداحة هذه المصيبة إذا عرفنا تماماً وقدرنا جيداً أن

المرأة مرآة الأمة والمدرسة الأولى للنشء ، وصانعة الأجيال ، وأنه ليس من الممكن بحال من الأحوال لامرأة مكبلة بالقيود أن تصنع رجلا حراً .

ومهما تحدثنا عن الرجعية البغيضة. وأطلنا الحـديث ، فإننا لا نستطيع أن نلم بكل نواحيها العديدة المتشعبة التى يدركها كل ذى نظرة عميقة واعية للحياة ، وخاصة ما يتعلق بالمرأة منها ويكون لها مشاكل تعرقل سيرها فى الحياة الـكريمة المجدية .

ولا بد لإخواننا المنصفين المتنورين من الرجال أن يعترفوا بتخبط المرأة فى دياجير الرجعية ولا أقول عذابها لأن من غمره الظلام فمنعه عن رؤية النور لا يشعر بشقاء العيش فيه . وأما تلك الفئة من النساء التى كتب لها أن تبصر النور ولو إلى حد ما ، أمست تحس بذلك الظلام الخانق فشعرت بكرامتها وحقوقها بالحياة ، فجاهدت وضحت فى سبيل هذين الشيئين لدرجة كبيرة ، حتى إنني أعرف فتاة جامعية من بلد عربى متمدن اضطرت إلى النفور من زوجها وتطليقه بعد الزواج منه بأسبوع واحد لاكتشافها رجعية فى أهله تفرض عليها أن تقبل يدى أبيه وأمه صباح كل يوم وأن لا تخرج إلا بإذن ذلك الأب مرفوقة برقيب خاص حتى اضطرت إلى تحطيم حياتها بالطلاق حرصاً على كرامتها وحريتها . وهذا بعد أن قضت طيلة الأسبوع الذى مكثته عند زوجها تقنعه بأن يخرج على هذه العادات الرجعية أو يفارق أهله فلم تفلح .

هذه واحدة من مآسى الرجعية الكثيرة الضاغطة على المرأة والمتغلغلة فى حياتها تتحكم حتى بتفكيرها . ولطالما سمعت أنات تلك النساء الموهوبات الخصبات الفكر شعراً أو نثراً اللواتى حرم عليهن نشر أفكارهن فى الصحف لا لشىء إلا لأن التقاليد الرجعية لا تسمح بذلك .

وأعرف شاعرة رقيقة اضطرت للطلاق من زوجها وتحطيم حياتها لمنعه لها من نشر شعرها الذى كان قد جرى ينبوعه عندها رقراقا صافياً منذ حداثتها ، ولكن صخرة الرجعية عند زوجها وأهله من ورائه أبت إلا أن تكبت هذا الينبوع فلم تجر مياهه العذبة فى أنهار الصحف ولا اغترفت منها النفوس المتعطشة إلى الفن والحياة .

وأنا بهذا لا أحبذ هذه التضحية من المرأة ولا أدعو للعمل بها ، ولكنى أبين بعض ما فى الرجعية من المشاكل التى ترهق حياة المرأة العربية .

وإننى بكلمة « رجعية » لا أعنى فيها القدم أو معنى القديم بحد ذاته كما قد يتسرب إلى الأذهان وقد تشوش معنى الرجعية الأصلى ونحن نجتاز الزمن من عهد إلى عهد ، وكاد يضيع هذا المعنى بين من حملوا راية الغرب وتطرفوا فى التجديد فشنوا الغارة على كل ما هو قديم مهما كان نافعا مفيداً صفا جوهره وكرم أصله

فسموه بالرجعية . كلا إننى لا أقصد هذا ولم أقصد يوماً أن أنحو نحو أولئك المتمغربين الذين تنكروا لكل قديم حتى ما أورثنا أياه جدودنا من أمجاد وما زرعوه فى دمائنا من مزايا سامية ، بل تنكروا حتى للغة العربية نفسها وحتى للروح الإسلامية بل حتى للدين الإسلامى من أساسه ، تنكروا لكل هذه الأشياء القدسية فى جريهم وراء الغرب الأهوج الجامح .

كما أننى لا أقصد بالخلاص من الرجعية أن تعتنق المرأة التجديد بكل معنى الكلمة ، فلقد فقد التجديد والتقدم معناهما الأصلى الجميل فى غمرة دورنا الانتقالى هذا وأصبح وبالا على المرأة فى أكثر نواحيه ومشكلة قائمة بذاتها . فلقد جنى عليها مجتمعنا بأخذه من مساوىء الغرب أكثر من محاسنه فابتليت المرأة بالأباحية عند أكثر شبابنا تعترضها كيفما دارت وأنى اتجهت فتمس حشمتها وكبرياءها وعزة نفسها .

وبالرغم من إدعاء هؤلاء الشباب بأن المرأة هى سبب هذه الأباحية بما تلبسه من أزياء فاضحة ، فإن الواقع يكذبهم فما هذه الأباحية إلا نتيجة هذا السيل الدافق من الراقصات المستهترات الذى تدفق علينا من الغرب فتمركز فى المراقص والمسارح وغيرها من المجتمعات ليعرض الأجساد الرخيصة التى تعيش على حساب أعصاب الشباب العربى ، ونتيجة تلك الأفلام المفضوحة التى دهانا بها الغرب

لتعطينا التسلية التافهة على حساب أخلاق الشباب العربي ، وأخيرة نتيجة صحافتنا الماجنة التي تساهم في تدمير أخلاقنا وقتل القيم المعنوية فينا بما تملأ به بحورها من رسوم النساء المشهوات ومن المواضيع المسفة التي تتحدث بإسهاب عن المواقف المكشوفة ومن النكات النابية التي لا تتصل بواقعنا المر من بعيد أو من قريب ولا تشعرنا بمأساتنا القومية التي نعاني آلامها .

هذه الألوان الغربية من الحياة التي قبلناها ومشينا على وتيرتها فتفشت في جميع نواحي حياتنا فصرنا نراها حتى في الإعلان الذي لم يعد يصلح إلا بعيني المرأة أو صدرها أو ساقيها ، وحتى في الحفلات الرسمية الجدية التي تتقدم فيها الراقصة شبه العارية لتعرض حركاتها أو أغانيها على الحاضرين .

هذه الألوان الأباحية وغيرها كثير مما لا يتسع المجال لتعداده كالسباحة المختلطة على الشواطئ وفي مسابح النوادي وكالرقص المختلط وغيرهما ، هي التي أفسدت أخلاق الشباب وليس لباس المرأة العصرية الفاضح أو غير الفاضح كما يدعون إذ هو جزء من كل أراده هو لها ، وسعى هو لإيجادها فيه تحت تأثير الروح الغربية النابية .

وكان فساد الشباب هذا وبالا على المرأة ومشكلة لها ، إذ وقفت حائرة بين أن تصمد أمام هذا التيار وتحتفظ بشرقيتها المحتشمة

فتخسر تقدير الشباب العصرى لها وتنعت بالرجعية وبين أن تخوض معه بحر هذه الحياة الأباحية فتتعثر بالعقبات الأخلاقية وتسقط لدى كل واحدة منها ، فتتجرد من فضيلتها التى هى عنوان الأنوثة السامية فيها والسعادة المثلى .

وهـــذه الروح الاباحية قد أوجدت فى خلق الشباب العربى أمراضاً شكلت مشاكل هامة فى حياة المرأة . أولها داء العزوبة الذى عم أكثر شبابنا لتحررهم من قيود الأخلاق هذا الداء الغربى الوبيل الذى عاث فساداً فى مجتمعنا فأثقل حياة المرأة وكثيراً ما جعل منها وهى فى عنفوان الشباب زوجة لكهل تمرضه أو لشيخ عجوز تئد حياتها فى حياته .

وكانت عاقبة هذه العزوبة من الناحية المادية والأخلاقية أليمة مرة للمرأة . فاضطرت أن تحمل ما يحمل الرجل من مشاق تحصيل العيش فكان حملها أثقل من حمله وجهادها أمر من جهاده حيال تكوينها الرقيق وأعصابها الضعيفة وظروفها الدقيقة الخطرة .

والمرض الثانى الناتج عن الإباحية والذى يشكل مشكلة أخرى فى حياة المرأة ، هو هذه الميوعة الأمريكية فى الكثير من شباب العرب التى جعلتهم يأخذون بتوافه المدنية الزائفة تخولتهم حق الزينة والتبرج وجعلت جل همهم لبس الألوان الصارخة والتحلى بالسلسلة الذهبية الدقيقة الصنع ومضغ اللبان فى الشوارع والعبث البارد

السخيف . هذه الميوعة جعلت الشاب يجبن أمام الحياة فيدين بالزواج المادى ويفتش عن الزيجة الرابحة ليمد يده للمرأة وقد وضع رجولته وراء ظهره ليقبض منها ثمرة جهودها وكدها وعرقها مما اضطر المرأة للجد فى الكسب وطلب الوظيفة .

والوظيفة هى مشكلة المشاكل فى حياة المرأة .

وهذان الأمران ، عزوبة الشباب وماديتهم ، هما السبب الأهم فى طلب المرأة للوظيفة .

والحديث هنا سيطول ويطول عن هذه المشكلة الكبرى التى هى مشكلة المجتمع وليست مشكلة المرأة وحدها ، إذ تحرم عدداً كبيرا من الرجال العائلين من أسباب العيش . وهى تجنى على المرأة إذ تجهد أعصابها على العموم وتثقل حياتها بما تحمل ظروفها الدقيقة من أخطار .

وهى تسمم حياة المرأة المتزوجة بما تخلفه لها من مشاكل داخلية فى بيتها وإرهاق قاتل حيال إدارة منزلها أو الإشراف عليه على الأقل ، ورعاية زوجها وأطفالها وتربيتهم التربية الصحية والنفسية والأخلاقية الصالحة التى تصلح معها الأمة ويسعد الوطن .

ولعمرى ، إن هذه الواجبات لينوء بحملها الرجل نفسه مع واجبات الوظيفة وهو المتين التكوين القوى البنية ، فكيف بالمرأة ، ذلك المخلوق الرقيق وهى تدير هذين العملين الجبارين ؟ . .

ولا بد فى هذه الحال أن تكون النتيجة رجحان كفة أحد هذين العملين على الأخرى فيبدو قصور المرأة فى إحداهما أو أنها ستعجز عنهما الإثنين إذ لا يستطيع أحد أن يدير عملين كبيرين متباينين فى وقت واحد ولا أن يحيا حياتين معاً مختلفتين كل الاختلاف .

ومهما تحدثنا عن مشكلة الوظيفة بالنسبة للمرأة وعن المشقات التى تعانيها بسببها وهى تجمع بينها وبين المنزل فإننا لا نوفيها حقها إلا بالصفحات العديدة . ولقد طالما استغرق هذا الموضوع أحاديث المتحدثين وكتابات الكتاب (كما أنه كان قد سبق أن أذعت بهذا الموضوع براديو مصر والشرق الأدنى فاستغرق الأحاديث الطوال .)

ومن مشاكل المرأة العربية الكبرى مشكلة الاختلاط . فمن (المؤسف أننا رغم بلوغنا هذا الحد من التقدم ، لا نزال نعد الاختلاط مشكلة نشغل بها تفكيرنا وصحفنا ومجالسنا والأدهى من ذلك أننا نبحث فيها على أساس جواز الاختلاط أو عدمه لا كيف يجب أن يكون هذا الاختلاط وعلى أى أساس). ومن المؤسف أيضاً أننا وجدنا الرأى العام فئتين فقط لا ثالثة لهما . والاثنتان لم تستطيعا أن تحلا المشكلة وتنظما الاختلاط على أساس من الفائدة الجمة والفهم الصحيح . فتطرف كل منهما فى طريقه حتى ابتعد عن الحل الوسط

التنقيح شغل المؤلف

القائم على العلم الصحيح ، والفهم للحياة ، والتربية القويمة التى تقف بصاحبها ضمن دائرة الشرف والأخلاق .

وترى المرأة تتأرجح بين هاتين الفئتين واحدة تشدها إلى الوراء متزمتة فى عزلها عن الرجل فتحرمها من العلم العالى وحتى المتوسط أحيانا إذ تبالغ فى التشدد كما تحرمها من الاجتماعات النبيلة الغاية الجليلة المبدأ ، التى تصقل فيها النفس وتسمو الروح التى من شأنها أن تميل بالمرأة عن طريق العبث واللهو فى تيار المدنية الحديثة إلى الحياة المستقيمة المجدية .

ورأينا الفئـة الأخرى تطلق لها حرية الاختلاط كاملة بدون أى قيد عرفى أو عقلى فتنطلق مع الشاب الذى أعمته أباحية الغرب تتعثر بالعقبات الأخلاقية فى كل خطوة تخطوها معه .

ولا تزال المرأة تعانى آلام هاتين الفئتين ضائعة الفكر بينهما تنتظر ذلك المصلح أو المصلحة التى ستهب يوما فتتجرد من شرقيتها القديمة الرجعية ومن غربيتها المتطرفة وتنادى بأروع ما يبهر الفكر من محاسن مدنية الغرب وأسمى ما يغنى النفس من التراث الشرقى القديم فتبثه فى النفوس وتطبع به الأرواح فى حركة قوية شاملة تفهمنا المعنى الأصلى للاختلاط وتعلمنا الأخلاق القوية التى لا يخشى معها من الاختلاط مهما عم وانتشر .

وهناك مشكلة كبرى فى منتهى الأهمية من مشاكل المرأة العربية

التنقيح بقلم المؤلف

ألا وهى تعدد الزوجات والطلاق . هذان الشيئان اللذان يعنيان بالنسبة للمرأة تدمير حياتها وشعورها وكل أحاسيسها .

وأنا لا يسعنى أن أتحدث عن نشوء هذه المشكلة وهى تتصل بالدين الإسلامى اتصالا وثيقاً ، وإنما أستطيع أن أعد الإشكال فيها عدم فهم أكثر إخواننا الرجال للدين فهماً صحيحا وعدم عملهم به على حقيقته وهم يكررون هذه المآسى غير حاسبين لحياة المرأة حسابا ولا لعواطفها .

والمرأة تطالب رجل الدين بحل المشكلة وإفهام الرجل جيداً أن الطلاق أبغض الحلال إلى الله وأن تعدد الزوجات ليس معناه إرضاء أهواء الرجل عندما تميل مع كل ريح .

وأخيراً هناك المشكلة الكبرى ، مشكلة العصر ، ألا وهى حق المرأة فى الانتخاب . وهذه المشكلة طالعنا بها القرن العشرون بما فيه من وعى نتيجة تيقظ الفرد وشعوره بكرامته الإنسانية ، ومن تطرف نتيجة ضلال هذه المدنية فى كثير من النواحى .

والمرأة وهى تطالب بحقوقها السياسية « كاملة غير منقوصة » على حد تعبير الهيئات النسائية التى تطالب بهذه الحقوق ، هذه المرأة وقفت أمام قضية الانتخاب هذه حائرة فى كيفية نيلها وفى إيجاد الطريق إلى كراسى البرلمان . وسعت المرأة للوصول إلى ذلك الطريق وجاهدت وضحت ، وهذا كله يعنى مدى شعور المرأة بكرامتها

الإنسانية التي تأبى عليها أن تحكم في هذه الحياة بدون أن يكون لها رأى فى انتخاب الحاكم الذى سيدير دفة حياتها ويتحكم بمستقبلها .

هذا من جهة كونها ناخبة وهى محقة بذلك . فالعقل والمنطق يعطيانها هذا الحق وقد تنورت ووعت وأمست تشعر بالإهانة وهى ترى الرجل الأمى يفضل عليها فيه .

ولكن الجهة الثانية التي تصر المرأة على المطالبة بها وهى أن تكون منتخبة ، فهذا من التطرف بمكان . ولعمرى لو أن المرأة أدركت ما فى ذلك من ضرر لها وإرهاق لحياتها وهى مكلفة بإدارة الأسرة وتحمل مشقات إنجاب النشء وتربيتهم ، ولو أدركت ما فى عملية الترشيح من متاعب وفوضى فى الدعاية ومنافسة الخصوم ، هذه الأشياء التي ستنوء بها حياتها المثقلة بواجبات العائلة ، بل انها لو أدركت وقدرت أهمية هذه الواجبات التي يترتب عليها راحة الفرد وسعادته التي تنبثق عنها راحة الأمة وسعادتها ، أقول لو أدركت المرأة كل هذا جيداً إذن لتنازلت عن المطالبة بكرسى البرلمان بل لابتعدت عنه كل الابتعاد ، إذ أنه كما كنت قدمت ، لا يستطيع أحد أن يدير عملين كبيرين فى وقت واحد ولا أن يحيا حياتين معاً مختلفتين كل الاختلاف .

وهنالك من يقول إننا لا نستطيع أن نعتبر كل امرأة أما أو زوجة أو ربة بيت ، فهنالك نساء لم يكتب لهن الزواج وإنشاء الأسر

ولكن هذا القول ليس له مكان من المنطق فى حالة الجدل أو الاعتراض على الصورة التى نرسمها للمرأة وهى أم وزوجة وربة بيت فكل ما عدا هذه الصورة نادر شاذ والشاذ لا يقاس عليه .

ولكن هنالك ثغرة نستطيع أن ننفذ منها إلى حالة خاصة بالمرأة تصل إليها فى ظرف معين وهذه الحالة هى سن الكهولة التى تفرغ فيها المرأة تقريباً من مهمتها الكبرى فى إنجاب النشء وتربيتهم ، فتزول هذه الأعباء الكبيرة عن عاتقها عند ذلك فقط وبعد أن تكون قد تجاوزت المرأة الأربعين نستطيع أن نسمح لها بدخول البرلمان وقد نضجت عقلا وخبرة ودراية بذلك الواجب المقدس الذى ستقوم بأعبائه . واجب سياسة الأمة وإدارة أحوال البلاد فى التمثيل النيابى ، ثم بعد أن تكون قد توارت عن جمالها وشبابها وتواريا هما عنها هذان اللذان لا بد أن يسببا لها مشاكل ومتاعب تؤثر على تلك الأمانة التى فى عنقها ألا وهى وظيفتها فى البرلمان .

وأخيراً ، فإن المرأة رغم كل شىء لا تزال تعمل جاهدة على التخلص من مشاكلها بمساعدة المتنورين الواعين من إخواننا الرجال وبفضل تلك النفحات الطيبة التى يجود بها علينا الزمن من السيدات النادرات الوجود المفعمات بالروح ، يقدن الحركة ويوجهن الخطوات ويحملن مشعل النهضة أمام الصفوف .

لغتنا الأم .. هذه المهانة ..

« نشرت في مجلة (الدنيا) الدمشقية »

طالعتنى إحدى الصحف بكلمة صرح بها سياسى كبير بعنوان « شبابنا لا يعرفون قواعد اللغة العربية » فحواها أن كثيراً من الشباب المثقف المرشحين لدخول السلك الدبلوماسى قد سقطوا لتقصيرهم فى قواعد اللغة العربية . وأردف السياسى الكبير متأسفاً أنه كان يظن أن شبابنا فى مستوى أرفع مما هم عليه اليوم سيما وهم من أصحاب الشهادات العليا . . .

ذكرتنى هذه الكلمة بتقصيرنا وعقوقنا للغتنا الأم وصورت لى مآسى هذه اللغة ونكباتها فى وطنها وبين أبنائها نحن الذين لم نشأ أن نعيرها الاهتمام اللازم .

ذكرتنى هذه الكلمة بالرسائل الكثيرة التى أجدها فى بريدى مكتوبة باللغة الفرنسية أو الانكليزية أو مردفة بحاشية تفيد أن مرسليها يفضلون الإجابة بإحدى هاتين اللغتين . ومع أن أولئك المرسلين ليسوا انكليزاً ولا فرنسيين بل هم عرب أبناء عرب ويسكنون فى بلاد العرب ، مع ذلك هم يفضلون المراسلة بأية من هاتين اللغتين عدا لغتهم الأم .

وفى مجتمعاتنا أياً كان نوعها كثيراً ما نرى لغة هذه المجتمعات خاصة فى لبنان وأحياناً فى غير لبنان نراها فرنسية أو انكليزية أو كلتيهما أو مزيجاً منهما ومن اللغة العربية المسكينة التى تظهر

ثم تختفي وراء هاتين اللغتين الدخيلتين . ومع أن أولئك المتخاطبين ليسوا إلا عرباً أبناء عرب يقيمون فى بلاد العرب فهم يفضلون التكلم بأية لغة أجنبية عدا لغتهم الأم . . .

وكذلك هى الحال فى كل مكان آخر من بلاد العرب وخاصة لبنان ، فى المكاتب والمتاجر والمؤسسات وحتى فى الشوارع ترى اللغة العربية متوارية تقريباً تتراءى لحظة على ألسنة أبنائها لتختفى لحظات !

وفى صميم حياتنا تظل الألفاظ الأجنبية تحتل مكاناً محترماً من أحاديثنا العادية مهما حاول بعضنا تنقيتها من تلك الألفاظ فلا نتنازل عنها كلها بل نلفظها مفتخرين نملأ أفواهنا بلحنها السمج الثقيل مستبدلين ألفاظنا الجميلة السلسة بها فنعبر عن كلمة (عفواً) بـ (بردون) أو (اكسكيوزمى) وعن كلمة (آسف) بـ (سارى) ونسمى الآنسة (بالمدموازيل) والخالة أو العامة (بالتانت) ونعبر عن لفظة التودد بكلمة (شيرى) وكذلك كلمات (بونجور وبونسوار وكودباى وأورفوار) لا تفارق أفواهنا عند التحية والوداع ، هذه وغيرها من الألفاظ التى لم تدرج على ألسنة آبائنا وأجدادنا من قبل ولم تدخل قواميسهم .

وأينما اتجهنا فى أنحاء وطننا الكبير نرى كثيراً من فنادقنا ومتاجرنا ومطاعمنا وملاهينا تحمل الأسماء الأعجمية ولم يكن أصحاب هذه الأشياء كلها بالأعاجم . . .

لقد اتخذنا لغات الأجانب غاية لا واسطة وأمست لغة المستعمر زياً فى بلادنا نفخر به ونتباهى وأصبح إهمالنا للغتنا الأم طرازاً كثير الشيوع عندنا بل إن إهانتنا لهذه اللغة أضحت عادة محببة إلى نفوسنا .

أسفاً على لغتنا الأم هذه المهانة فى عقر دارها ومن أبنائها وبينهم وأمام سمعهم وبصرهم .

فأين غيرتنا على لغتنا هذه التى نهينها بإهمالنا لها ونمعن فى إهانتها ونحن نمعن فى هذا الإهمال ثم نفخر ونتباهى بهذه الإهانة عندما نتباهى بالرطانة الأجنبية فنضرب الرقم القياسى فى العقوق والظلم وإنكار الجميل .

لغتنا العربية هذه الأم الرؤوم التى فتحت لنا صدرها الرحب فوسعت كل تاريخنا العريض وأمجادنا التليدة ، لغتنا هذه قد ضقنا بها ذرعاً فأهملناها مفضلين عليها تلك الرطانة المقيتة نقحمها فى صميم حياتنا فنفاخر بها أسماء لنا ولفنادقنا ومطاعمنا وملاهينا ونتباهى بها كتابة ولفظاً .

هذه الروح الغربية التى تحملنا نقدس الغرب والغربيين ونفخر بتقليدهم لا تزال مسيطرة علينا فى الوطن العربى كله تعبث فى كياننا وتعيث فيه فساداً . هذه الروح الغربية التى هى رمز العبودية للأجنبي لا تزال تسيطر علينا فى كل أنحاء وطننا الكبير وخاصة

فى أرض لبنان حيث تحتضر اللغة العربية فى المدارس الأجنبية الكثيرة ولا تجد لها من أبنائها نصيراً وحيث يفخر العربى باتقان أية لغة أجنبية عدا لغته وحيث كثيراً ما يحتقر لغته ويتباهى بجهلها .

كم من المؤلم أن يكون هذا شأننا فى هذا العصر الذى نتطلع فيه إلى فجر النهضة والوعى القومى . وأن يكون هذا شأننا فى عهد استقلال وطننا الكبير الذى يجب أن نبرز فيه أهليتنا لهذا الاستقلال بإحياء كرامتنا التى داسها الأجنبى وقوميتنا التى حطمها المستعمر وذلك لا يكون إلا بإحياء لغتنا التى هى عنوان كرامتنا وقوميتنا .

أليس من العار علينا أن نهمل لغتنا إلى هذا الحد ونحن الشعب الذى قاسينا ولا نزال نقاسى لأجل التخلص من يد المستعمر لنقوى كياننا ونحيى قوميتنا لنبرز أمة محترمة بين الأمم . أى شين علينا وأية سخرية ستلحقنا من الأجنبى وهو يرى تضاؤل لغتنا فى وطنها وانكماشها على ألسنة أبنائها فى فجر نهضتهم . ؟ ؟

هل انعدمت فينا الروح القومية إلى هذا الحد الذى نطيق فيه كل تلك الألفاظ الأجنبية تغزو لغتنا الأم الحبيبة ولا ننتصر لها ؟ . وكيف نطيق أن نرى كل تلك الألفاظ تملأ حياتنا ؟ .

لقد زعمنا مراوغين أن لغتنا ضيقة قاصرة عن أداء رسالتها على الوجه الأكمل ولكن ساء ما زعمنا . فهل نحن أتقنا دراسة

هذه اللغة لتبسط لنا كنوزها ؟ . . هل أوليناها جهودنا لنحيي ميتها ونصوغ من قواعدها المرنة الطيعة كل ماتتطلبه حياتنا العصرية الحاضرة شأن كل لغة حية أخرى ؟ . . هل ارتفع صوتنا يلح على المسئولين بالمطالبة بتحقيق هذه الأشياء ؟ . . كلا لم نفعل شيئاً من هذا بل اكتفينا بالتململ منها زاعمين أنها ضيقة قاصرة لا تؤدى رسالتها ثم استرسلنا فى غينا نباهى بالرطانة الأجنبية وبالكتابة الأجنبية . . .

فهل بلغ بنا الذل إلى هذا الحد الذى احتقرنا معه أنفسنا وكل ما يتعلق بأنفسنا ؟ وعبدنا الأجنبى وكل ما يتعلق بالأجنبى ؟ أين هم الشباب المنوط بهم إحياء هذه اللغة العزيزة التى هى عنوان كرامتنا ورمز قوميتنا ؟ أين هم الأحرار من أبناء هذا الوطن المترامى الأطراف ينقذون لغتنا الأم ويرفعون شأنها ليحق لنا الفخر بنهضتنا والاعتزاز بها ؟ . .

أين الجمعيات لتقوية اللغة العربية وأين أعمالها الفعالة فى المدارس وخاصة الأجنبية منها وعلى ألسنة الشعب وخاصة فى أرض لبنان ؟ .

وأين القرارات الحازمة من حكوماتنا المحترمة فى أرض العروبة كلها بمنع كل اسم أجنبى يطلق على دار عام محافظة على كرامة الأمة وكرامة القومية اللتين هما فى كرامة اللغة ؟ . .

وأخيراً أين جهود المجمع اللغوى الذى يجب أن يهيء لنا كل

مانحتاجه فى عصرنا الحاضر من أسماء واصطلاحات يعممها بنشرات خاصة تغمر كل طبقات الشعب العربى بأسره ؟ . .

إنى أدعو الأحرار الذين يغارون على عروبتهم أن يعمموا الكتابة فى هذا الموضوع ويوسعوا البحث فيه ليعلمونا كيف نعتز بلغتنا التى هى رمز عروبتنا وقوميتنا وكيف نفرض احترامنا على باقى الأمم . . .

البساطة سر الجمال

« مهداة إلى اللواتى ينظرن إلى المدنية على أنها مظاهر ، وإلى الأناقة على أنها بذخ وإسراف ، وإلى الجمال على أنه بهرج وزخارف . »

« أذيع فى إذاعة مصر ونشر فى (التلغراف) البيروتية »

ـ البساطة سر الجمال ـ

لك يا سيدتى هذه النصيحة ولأجلك أتحدث بهذا الموضوع ، فالبساطة هى سر الجمال ولا شك ، وهى وحدها التى يقبلها الذوق السليم ، والتى تضفى على صاحبتها مظهراً من الصدق لا يشوبه تمويه. ولعل هذه الحقيقة لا تتجلى فى شىء كما تتجلى فى المرأة ، فيك أنت بكل تصرفاتك وبكل ناحية من نواحى حياتك . فيك وأنت تلبسين ثيابك . فيك وأنت تضعين زينتك ، وأنت تقصين شعرك وأنت تتحركين حتى وأنت تتكلمين أيضاً . فحينما تكون البساطة متجلية فى كل هذه النواحى منك فقد حزت ولا شك قسطا وافراً من الجمال حتى ولو لم يكن حظك منه كبيراً ، فنفذت ببساطة مظهرك هذا إلى أعماق القلوب .

فلبساطة المرأة تأثير كبير على القلوب لأنها توحى إلى نفس الناظر الشعور بالارتياح . فالبساطة تضفى على صاحبتها مظهر الصدق الذى لا يشوبه تمويه ، فيتكون من هذا وذاك نوع خاص من الجمال ، نوع رائع مستقل بذاته لا يقبل التحديد ولا يعرف المقاييس .!

ولا أعنى بالبساطة أن تبدو المرأة بشكل فطرى ليس فيه شىء من الذوق السليم أو لون العصر الذى تعيش فيه ، كلا ، فإن للذوق السليم شأنا فى بساطة المظهر الذى يجب أن تتحلى به المرأة والذوق

هنا ، هو الفن والانسجام فأنت مثلا إن لبست ثوباً بسيطا خالياً من الذوق السليم فى زيه وانسجامه مع تكوين جسمك ، قلما تنفعك بساطته شيئاً . . . فالذوق يجب أن يلعب دوراً هاماً فى مظهر المرأة بالرغم من أن البساطة هى عنوانه . وكذلك روح العصر أيضاً . فإن مسايرة العصر والتلون بلونه هما من الذوق بمكان ولكن بشرط أن يكون ذلك التلون فى قالب من البساطة التي نحن بصددها ولا أظن أننا بحاجة إلى تكرار القول إن البساطة هى سر الجمال وعنوان الذوق السليم .

ولم يكن التكلف والتعقيد يوماً من الأيام مظهراً من مظاهر الجمال أو دليلا من أدلته بل بالعكس فليس أثقل على الذوق ولا أشد وطأة على النفس من منظر امرأة تلبس الثياب الباهظة الثمن وتتزين بشتى أنواع الحلي وتسرف بطلاء وجهها بالمساحيق ، وتتغالى فى تزجيج حاجبيها وتصفيف أهدابها وعقص شعرها والتصنع بحركاتها وسكناتها ، أقول ليس أثقل على النفس من منظر هذه المرأة التى أضاعت كل ما تملكه من جمال مهما كان نصيبها منه وافراً فى هذا التصنع الذى يمجه الذوق وفى تركها للبساطة التى هى سر الجمال !

ولعلنا نحن النساء يهمنا أن نعرف أن الرجل يفضل ألف مرة المرأة ذات الثوب البسيط الزى والوجه البسيط الزينة وذات

التصرفات الطبيعية التي لا يبدو فيها شيء من التصنع والغروز ، أقول إن الرجل عموماً يفضل ألف مرة هذه المرأة على تلك التي من ذلك النوع المتكلف الذي سبق ذكره . ومن هذا ندرك ما للبساطة من معنى ساحر يترك أثره في النفوس .

وهنالك شيء آخر يشمله معنى البساطة التي يجب أن تتحلى بها المرأة وهو غير مظهرها الخاص ولكن يتصل مباشرة بهذا المظهر ويدل على ذوقها وشخصيتها . وهذا الشيء هو المنزل فمن المؤسف أن نرى أكثر سيداتنا يرين أن جمال المنزل لا يتم إلا إذا كثر أثاثه وتعددت أنواع ذلك الأثاث وغلا ثمنه .

ولعمري لو عرفت تلك السيدات أن هذا عين الخطأ لكان أصلح لهن ، لأن قليلا من الذوق والتفكير السليم يؤكد أن عكس ذلك هو الصواب ! ولأن الأثاث القليل البسيط المظهر مع الذوق السليم في حسن تنظيمه وجمال طرازه وانسجام لونه مع لون الجدران والستائر أقول إن منزلا كهذا لا يقل جمالا عن المنزل المليء بالأثاث الفخم الباهظ الثمن ، فلجمال البساطة سر خفي تدركه المشاعر والأحاسيس ، ولا تدركه العيون ! والبساطة دائماً تسبغ ظلالها الرائعة أينما حلت وحيثما وجدت فتملك النفوس والأرواح وهي تفعل فعلها في المنزل إذا حلت فيه وتملأه بمعانيها الرائعة تماماً كما تفعل مع

المرأة عندما تتبناها وتعتنق مبادئها وتدين بدينها فتلبسها حلتها القشيبة من الجمال الهادئ العميق الأثر في النفوس .

ولست أعني بالبساطة التي تخلق الجمال في المرأة ، بساطة المظهر فقط وإن يكن لهذا أثر كبير في الموضوع ، ولكن أعني أيضاً بساطة النفس التي هي أساس بساطة المظهر . . هذه البساطة التي إذا تحلت بها المرأة أضفت على وجهها اشراقاً رائعاً وكست ملامحها وحركاتها بالارتياح والهدوء والطمأنينة .

ورب قائل ان بساطة النفس هي طبع في المرء لا تطبع ، وخلق لا يمكن للمحروم منه أن يكتسبه . ولكن أعارض هذا الرأي فإن بساطة النفس وهدوءها يستطيع المحروم منهما أن يخلقهما في داخله خلقاً بواسطة الإيحاء النفسي والتمرين العملي إذا ملك شيئا من قوة الإرادة والثبات وتقديس الغاية التي يريدها . ويمكننا أن نعرف بساطة النفس هذه بجمال الخلق أي النفس الخالية من التعقيد والصفات السيئة كالحسد ، والكذب ، والحقد ، وحب النميمة ، والاسراف في الشك والريبة ، والغرور ، والشعور بالنقص ، والتشاؤم ، والعجرفة ، هذه الأمراض النفسية التي ترهق الأعصاب فتؤثر على مظهر المرأة وتحرمها من جمال البساطة بما تضفيه على وجهها وشخصيتها من كآبة وتجهم وقلق وعدم استقرار ! .

إن هذا التعقيد النفسانى إذا وجد فى المرأة ولم تحاربه وتحاول إزالته يرهق أعصابها التى لها الحكم الأول والأخير على جمالها فيشوهه ويحرمها من هذه النعمة الغالية التى تعتز بها .

ومن ذلك يتضح كيف أن البساطة ضرورية للمرأة . البساطة فى كل ناحية منها وفى كل لون من حياتها فهى سر الجمال . بل انها والجمال صنوان لا يفترقان أو مرادفان لمعنى واحد لا يمكن أن يتجزأ أو أن يقبل التقسيم !

إن هذا التعقيد النفسانى إذا وجد فى المرأة ولم تحاربه وتحاول إزالته يرهق أعصابها التى لها الحكم الأول والأخير على جمالها فيشوهه ويحرمها من هذه النعمة الغالية التى تعتز بها .

ومن ذلك يتضح كيف أن البساطة ضرورية للمرأة . البساطة فى كل ناحية منها وفى كل لون من حياتها فهى سر الجمال . بل انها والجمال صنوان لا يفترقان أو مرادفان لمعنى واحد لا يمكن أن يتجزأ أو أن يقبل التقسيم !

المرأة بين الوظيفة والمنزل

« أذيعت من محطة مصر »

— المرأة بين الوظيفة والمنزل —

للحياة البيتية مساس كبير فى كيان الأمة يتجاهله كثير من الناس فى عهدنا الحاضر ويحسبون أن الفتاة مخلوقة كالرجل ترافقه إلى المدارس ثم لا تختلف عنه فى طلب العلم بشىء . يريد الشاب أن يخرج من هذه المدرسة طبيباً أو محامياً أو أستاذاً أو مهندساً وتريد الشابة أن تخرج مثله .

أما أن تكون نظرتها إلى الحياة تختلف عن نظرته ، فهذا قلما عالجه الشاب أو عالجته المرأة ، لذلك رأينا هذه الفوضى سائدة فى أسرتنا الشرقية أو العربية على الأخص كما سادت فى أسرة الغرب .

فالمرأة تخرج من المعهد وبيدها شهادة علوم أو آداب ولكنها تجهل أو تتجاهل ما خلقت له بل تجهل كل الجهل ما نطلق عليه حياة البيت ، فإذا تزوجت رأت نفسها مضطرة إلى من تخدمها فى بيتها حتى فى كى الثوب أو رتى الجوارب .

هذه هى حقيقة المرأة المتعلمة عندنا اليوم فى كل بلادنا العربية تخرج من دور العلم لتسلك أحد طريقين ، إما أن تهجر البيت تاركة إياه للخدم وتنصرف إلى مهنتها أو وظيفتها أو أن تلزم البيت مضطرة لسبب من الأسباب ولكنها تكون فيه كالعضو الأشل لجهلها تدبير شؤونه فتملأه بالخدم لتقضى أيامها الفارغة الجوفاء بالزيارات والملاهى والثرثرة مع جاراتها .

فالمرأة تخرج من معهد العلم مهيأة للوظيفة لا للبيت ، مهيأة لأن تشغل أمكنة الرجال فى الوظائف والمهن تاركة مكانها فى البيت شاغراً وليس من يستطيع ملأه غيرها فيخسر البيت بذلك أهم دعامتيه فتتزعزع حياة الأسرة وتعمها الفوضى فينشأ عن ذلك مشاكل اجتماعية عديدة أهمها قلق الفرد واضطراب حياته .

فالمرأة فى سلوكها كلا الطريقين أى أنها بخروجها من المنزل أو بقائها فيه مكتوفة اليدين معتمدة على الخدم بكل شىء لجهلها لمهمتها فيه أو تعاليها على هذه المهمة ، أقول : إن المرأة فى سلوكها هذا هى مخطئة كل الخطأ بل وظالمة كل الظلم لزوجها أيضا ولنفسها ولأولادها ومن ثم لمجتمعها .

فاهمالها وظيفتها فى البيت وترك مقدرات حياة الأسرة بين أيدى الخدم الذين طبعاً لا يحرصون على مصلحة البيت حرص ربته عليها أقول إن هذا من شأنه أن يرهق اقتصاديات هذه الأسرة فينوء الزوج المسكين بالمصاريف الباهظة التى لا شك ستستهلك معاشه ومعاش زوجته فى حالة توظفها ويضيق ذرعاً بجيش الخدم الذى يلتهم كل منتوجه بطرق مشروعة وغير مشروعة وهو بعيد عن عناية الزوجة ورعايتها واهتمامها .

وهذا العبء الاقتصادى كثيراً ما تراه يوجد الجفاء بين الرجل

وزوجته عندما يري أكثر جهوده تذهب للترفيه عنها ثم لا يجد منها جهداً ترفه به عنه .

وكذلك تظلم المرأة أولادها عندما تشتغل بالوظيفة بتركها إياهم بين أيدى الخدم الذين مهما بلغوا من العطف والحنان لا يصلون إلى درجة حنان الأم ورعايتها لأولادها واهتمامها بهم . هذا فضلا عن جهلهم وعدم إخلاصهم فى الغالب فتكون المرأة قد أساءت إلى أولادها بحرمانهم من حنانها وعنايتها ومن التربية القويمة التى تحفظ لهم صحتهم وأخلاقهم ونفسيتهم سالمة صحيحة وفى هذا ما فيه من ظلم لوطنها وهى تحرمه من المواطنين الصالحين .

ولو ألقت المرأة نظرة جدية على حياتها هذه وهى تمارس الوظيفة مع الحياة الزوجية لرأت نفسها مغبـــونة كل الغبن ومظلومة أيضاً .

إنها تظلم نفسها بتحمل أعباء الوظيفة مع أعباء حياة الزواج من حمل وولادة وإرضاع ، هذا إذا كان عندها خدم يوفرون عليها مهمة تدبير أمور البيت أما إذا كانت لا تستطيع أن تملك الخدم فإنه سيتوجب عليها أن تضيف إلى هذه الأتعاب أتعابا أخرى هي إدارة شؤون البيت والأسرة وتربية الأطفال بكل ما في هذين العملين من مشقات ومسئولية . ولعمرى أن هذه الأعمال كلها مجتمعة لو قدر للرجل أن يقوم بها لانهزم وتقهقر بالرغم من عضلاته

القوية وبنيته الجبارة ، فكيف بالمرأة هذا المخلوق الرقيق الدقيق التكوين ، السريع الذبول .

وأقول « السريع الذبول » وأكرر الكلمة لألفت نظر المرأة إلى هذه الحقيقة الناصعة والخطر المخيف الذى يهددها وهى ترهق نفسها بأعباء الوظيفة مع حياة البيت والزواج .

فما من خطر يهدد نضارة المرأة وجمالها وحيويتها مثل الارهاق والتعب المضنى .

والمرأة تعرف أكثر من غيرها أن هذه الأشياء الثلاثة هى أكبر رأسمال لها فى الحياة ، وهى لأجلها تبذل المبالغ الباهظة فى شراء المساحيق وأدوات الزينة والملابس الجميلة وتضحى بكثير من وقتها وراحتها لصنع جمالها أو إبرازه ، هى تبذل كل هذه الجهود لأجل جمالها ونضارتها وتجهل أو تتجاهل هذه الحقيقة البديهية التى أثبتها العلم ويقرها العقل والمنطق والتى لا تستلزم كثيرا من التفكير لإدراكها وهى أن الإرهاق أحد أعداء جمالها وشبابها وحيويتها وهو يسلبها هذه الميزات بقسوة وبسرعة ويتقدم بها سنوات إلى الأمام حتى ولو كانت فى دور الشباب .

هذه حقيقة خطيرة بالنسبة للمرأة ولكن لا أدرى لماذا تتجاهلها وهى تريد أن تشتغل فى البيت والخارج لتزيد فى أعباء حياتها ومشقاتها وتحمل نفسها هموماً وآلاماً نفسية لابد أن ترافق هذا

النمط من الحياة وتكون أشد خطراً على جمالها وشبابها من الإرهاق .

ففقدان المرأة لراحتها ليس قليلا ما يسببه لها من آلام نفسية فتبدو مرهقة منفعلة على الدوام مما يعكر صفو حياتها مع زوجها الذى يكون منفعلا أيضاً أو متضايقا على الأقل من حياة الفوضى فى بيته بسبب المشاكل الآنفة الذكر ، فيوجد كل ذلك بينهما جوا من الجفاء إن لم يكن الخصام مما يخلق آلاماً نفسية أخرى للمرأة .

وهنالك أيضا آلام أخرى أقوى وأشد تعانيها المرأة وهى تجمع بين عمل المنزل والخارج . وقد أقرت بهذه الحقيقة سيدات محترمات منصفات ممن ابتلين بالوظيفة وهن متزوجات . وهذه الآلام هى التى تظلم نفس الأم وتعصر قلبها عندما يمرض طفلها وتأبى عليها أمومتها إلا أن تسهر الليل إلى جانبه بالرغم من وجود الممرضة أو المربية ثم تضطرها وظيفتها فى الصباح إلى أن تفارقه طول النهار أو نصفه ، فتذهب وفى قلبها لوعة وعينها دمعة لتتحمل آلام قلقها على ولدها وآلام تعبها ونعاسها بسبب سهرها الليل أو أكثره .

وهذه النتيجة كما يبدو لا يقتصر ضررها على الموظفة وحدها بل يتعداها إلى الوظيفة أيضاً ، فمن البديهى أن المرأة بتعبها ذاك وقلقها على ولدها لن تستطيع القيام بوظيفتها كما ينبغى ولا أن ترضى ضميرها من هذه الناحية وتؤدى الأمانة التى ائتمنها عليها وطنها وأمتها.

ورب من يقول ان هذا الظرف هو استثنائى ، ولكن ما أكثر ما يحصل فى الأسرة وتطول مدته .

ومهما يكن من أمر فإن حالة المرأة تجاه الوظيفة تبقى قاصرة ولو ندر هذا الظرف الاستثنائى أو حتى انعدم وجوده . ولا أقول ان هذا القصور هو بسبب عدم مقدرتها على العمل الخارجى أى عدم كفاءتها ، لا ولكن بسبب ظروفها العادية وحياتها الطبيعية وهى زوجة وأم وربة بيت ، وهذا الشىء كاف لا تعابها فيبدو قصورها تجاه وظيفتها أو عملها الخارجى إذ لا يستطيع الإنسان أن يدير عملين كبيرين متباينين فى وقت واحد ولا أن يحيا حياتين معا مختلفتين كل الاختلاف .

إننى أؤمن بمواهب المرأة التى لا تقل عن مواهب الرجل وأؤمن بمقدرتها على أكثر الأعمال الاجتماعية والسياسية ، لكننى أؤمن قبل هذا بأننا بحاجة إلى الزوجة الصالحة وربة البيت الحكيمة المدبرة والأم المربية تربية صالحة تصلح معها الأمة .

نعم إننى أؤمن بصلاحية المرأة لأكثر المهن والأعمال الخارجية ، ولكننى أؤمن أيضا بأن البيت يجب أن لا يخلو من ربته وأن الأسرة يجب أن لا تفقد إحدى دعامتيها وأن الأطفال يجب أن لا يحرموا من أمهم وراعيتهم ومربيتهم الأولى . نعم أؤمن بهذا كله وأؤمن أيضا براحة الفرد واستقراره ونجاحه فى الحياة ، هذه الأشياء التى لا تتوفر له إلا إذا عاش فى بيت هادىء وأسرة مستقلة تديرها ربتها بنفسها وتبعث فيها الحياة . . .

في أعماقنا هذا الجيل السقيم ..!

« نشرت في مجلة (العرفان) اللبنانية »

ضحايا مآسي الجيل السقيم

في أعناقنا . . هذا الجيل السقيم وهو هذه الكتل البشرية التي تدب على الأرض حقيرة هائمة كالحيوانات وليست هي بالحيوانات ، هؤلاء الأناسي الذين نبذتهم الإنسانية ورفستهم الحياة فترددوا في هاوية البؤس والحرمان يستجدون الأكف ليهدئوا صرخات أجسادهم الجائعة .

نعم ، هم هؤلاء المتسولون في بلادنا الذين ضاق بهم عطفنا ، ولفظتهم أفئدتنا ، فهاموا يبحثون عن لقمة الخبز كباراً وصغارا يجرون أجسامهم المثقلة بالعاهات والأمراض بين شيخوخة محطمة ، يزري بالإنسان منظرها التاعس وشباب كفرت به الحياة وكفر بها ، وطفولة بريئة مشردة ينبيء منظرها البائس عما يشين الإنسان من قسوته على أخيه الإنسان .

كل هذه المآسي تجري بيننا وعلى مرأى منا ومسمع ، ولم نشأ أن نشعر بها أو نعيرها الاهتمام اللازم فننقذ تلك النفوس المعذبة من جحيمها .

وقد تعودنا أن نرى أحياناً من حكوماتنا بعض هذا الاهتمام بهم ، إذ أنها تجمع التعساء بين وقت وآخر أو تجمع بعضهم من العواصم فقط وتخفيهم فترة وجيزة ثم لا نلبث أن نراهم منتشرين بكل بؤسهم وبكل زرايتهم وبكل شقائهم .

ولكن هذا الاهتمام غير كاف لهذه المخلوقات المسكينة ، وهذا الحل لقضيتهم غير مجـــد ، وانى لأرى حلها الأكمل منوطاً بغير الحكومات ، فما دامت القضية تحمل هذا الطابع الإنسانى القوى ، فلماذا لا تتبناها الجمعيات الخيرية أو الدينية ، والدين هو أبو الإنسانية وبلسم النفوس المعذبة ؟ إن البؤس والفاقة والحرمان فى هؤلاء التعساء لتستصرخ هـذه الجمعيات التى ولجت كل سبيل للخير والإحسان ، الا هذه السبيل رغم أهميتها وحساسيتها فى كيان الإنسانية والمجتمع أيضا ، وأقول (المجتمع) لأن لهذه القضية طابعاً آخر ، هو الطابع الاجتماعى ، فإن هذه الطفولة السقيمة المشردة هى جريمة فى أعناقنا ونحن نتركها تتجرع مرارة الحياة وتختزن الجهل والمرض للمستقبل الذى نسعى فى بنائه متيناً شامخا خالصا من الأوشاب ، نعم يجب أن نسعى جادين فى إنقاذ هذا الجيل السقيم من الأطفال خاصة قبل غيرهم ، ومسألتهم هى أكثر من مسألة إنسانية كما نرى .

وإن إنقاذ هؤلاء الأطفال ليس منوطا بالجمعيات الخيرية والدينية كباقى المتسولين بل يجب على هيئاتنا الاجتماعية فى كل البلاد العربية ، هذه الهيئات التى تحرص على سد كل نقص فى بناء مجتمعنا ، أن تتبنى هذه القضية فتنقذ هؤلاء الأحداث من جحيم التسول وذله وتعالجهم من الأمراض التى ألصقتها بهم قذارة حياتهم وبؤسها ثم تصهرهم فى إصلاحية يخرجون بعدها أعضاء عاملين فى كيان أمتنا الناهضة ،

وكذلك نريد تدبيرا موفقا من الجمعيات الخيرية والدينية لباقي المتسولين فإنها بعد أن تعالجهم من أمراضهم يجب أن تخصص مأوى للعجزة منهم من المسنين وذوى العاهات الشديدة التي تمنعهم من القيام بأى عمل ، وأما الباقون فيجب أن تعلمهم مهنا أو تدبر لهم أعمالا يعيشون منها شرفاء مكتفين .

ورب قائل ان هذا المشروع سيحتاج إلى مبالغ هائلة من المال تنوء بها خزائن هذه الهيئات التي ستتولى تنفيذه ولكنني أرى أن هذه الهيئات لن تتحمل أعباء تلك النفقات وحدها إذا قامت بجمع التبرعات لهذا المشروع من كبار الأغنياء المحسنين وبواسطة حفلات خيرية تستنهض فيها الهمم وتستثير الشفقة على هؤلاء البؤساء الهائمين في الأرض ينشدون العطف الإنساني فى جنبات الحياة .

وكذلك ستخف النفقات أيضاً على تلك الهيئات إذا طلبت المساعدة من الحكومة ، ولا شك ان الحكومة واهبة لها هذه المساعدة والمشروع هو اجتماعى بقدر ما هو إنسانى ويتعلق بسمعة الحكومة والبلاد فى تخليصها من عار التسول وخزيه .

وهناك تدابير أخرى تستطيع أن تقوم بها تلك الهيئات لتخفيف النفقات عن عاتقها وهى الإفادة من أولئك المتسولين أثناء تعليمهم المهن والصناعات ببيع منتوجاتهم كما تفعل عادة بعض المؤسسات مع التلاميذ .

هذا ما نستطيع فعله حيال هؤلاء البؤساء لننقذ نفوسهم المعذبة ونخلص مجتمعنا من أعضاء سقيمة تحمل من الأمراض الجسمانية والأخلاقية ما يجعلها وبالا عليه ، ثم أخيراً لنكسبهم أعضاء نافعين لصالح أمتنا الناهضة .

ورب قائل ان قضية المتسولين هى حقيرة لا تستحق الاهتمام بها إلى هذا الحد ، ولكنى أقول ان هذه القضية هى من الأهمية بمكان عظيم وليس احتقارنا لها إلا نتيجة احتقارنا للمتسول نفسه ، هذا المخلوق البائس الذى ليس له ذنب إلا أنه ولد فى ظلمات الحياة وولدنا فى نورها ، ليس له ذنب إلا أنه جائع ونحن متخمون ، نعم إن احتقارنا لهذه القضية الحيوية هو نظرة الشبعان إلى الجائع والمكتسى إلى العريان والمستقر إلى الهائم فى بيداء الحياة . وهو أيضاً نتيجة عدم فهمنا للقضية من الناحية الاجتماعية التى أوضحناها فى هذه الكلمة .

وهذه القضية أيضاً قد أمست مسألة سمعة للبلاد فإن هذه الجيوش من المتسولين القذرين ، التى تملأ شوارعنا فى كل بلد من وطننا العربى كله . قد فاقت بعددها النسبى ومبلغ بؤسها وقذارتها كل متسولى العالم فتميزنا بهذا النوع من المواطنين الأموات الأحياء مما يجعل لنا عند بقية الشعوب الحية سمعة لا تشرفنا .

إذن فلنبدأ بالعمل ولنعمل بسرعة فإن القضية لا تحتمل الصبر لنبدأ بالعمل بجد ونشاط فى كل ناحية من نواحى وطننا الكبير فندلل بذلك على نهضتنا وشعورنا الإنسانى النبيل ونسدل الستار على مأساة التسول فى بلادنا .

أثر البيت في بناء الأمة (١)

« أذيعت فى محطة الشرق الأدنى »

— اثر البيت في بناء الامة —

مشاكل حياتنا الحديثة خلو البيت من ربته وفقدان نسائنا من طابعهن الأنثوى وما ترتب على ذلك من زعزعة حياة الأسرة وشقاء أفرادها وضعف تربية النشء .

فالمرأة العصرية المتحررة ، قد بالغت فى التحرر والمساواة بالرجل حتى أنكرت أنوثتها وخرجت من البيت فأهملت مملكتها الصغيرة هذه تاركة أياها للخدم يعبثون بها كيف شاءوا ، وأهملت مصالح زوجها فى البيت فعاش هذا الزوج معذبا يرى فى بيته جحيمه المقيت ، وأهملت أيضا تربية أطفالها تاركة إياهم للمربية أو الخادمة فعاشوا محرومين من عطف الأم ورعايتها ونشأوا حسب ما تفرضه قسوة المربية وجهل الخادمة وعدم عنايتها .

فلقد صار من خصائص الفتاة العصرية أن تقتدى بالرجل إلى حد كبير ، ناسية وظيفتها الأولى التى أولتها إياها الطبيعة ، ألا وهى العناية بالنشء وحفظه صالحا للحياة . لقد تعلم الرجل الرياضيات والهندسة والحقوق والكيمياء والعلوم السياسية والاجتماعية ، ثم اعتلى متن الأثير يقود الطائرات ويصارع الأنواء فحذت المرأة حذوه بكل دقة مهملة علومها الضرورية والتى يجب عليها أن تتقنها لتكون صالحة للحياة المرشحة لها وهى فن تدبير المنزل ، وفن التمريض ،

والعناية بالطفل وتربيته تربية صالحة تحفظ بها صحته وعقله سالمين صحيحين .

وإن من مصائب هذا العصر علينا أن نشجع الفتاة على سلوك هذا المنهج الذى فيه شقاء الأسرة وفساد المجتمع ، فنرى أكثر المدارس لا تعنى بتلك الفنون البيتية ، وبعض هذه المدارس يعنى بها بشكل ابتدائى بسيط لا يؤدى الغرض المنشود لأن تكون المرأة أما صالحة بمعنى الكلمة ، وربة بيت حكيمة ماهرة .

وعلى هذا الأساس نرى الفتاة العصرية تخرج من ساحة العلم إلى ميدان الحياة وقد كنزت ما يؤهلها للحياة الخارجية ، من وظائف وأعمال حرة ولم تكنز أى شىء لوظيفتها الأولى فى الحياة وإدارة البيت ، بل إننا نراها تترفع عن إدارته وترى السعادة والرقى فى هجر هذا البيت أكبر مدة ممكنة من النهار تاركة أمره وأمر تربية الأطفال إلى الخدم الذين طبعاً لا يمكن أن يقوموا مقام ربة البيت فى إتقان تدبيره ولا فى دقة رعاية مصلحة الأسرة ، ولا فى حفظ اقتصادياتها . فينشأ عن كل هذا مشاكل اجتماعية عديدة أهمها ثلاث :

(أولا) زعزعة حياة الأسرة بسبب الفوضى التى تعم البيت وإرهاق اقتصادياته لتخلى ربته عن ادارته للخدم وفى هذه الزعزعة شقاء للأسرة وانهيارها فانهيار المجتمع .

(ثانياً) ضعف تربية الطفل بين أيدى الخدم ، هذه التربية

المبنية على جهلهم وقسوتهم وعدم عنايتهم ، فينشأ الطفل ضعيفاً فى أخلاقه ، ضعيفاً فى عقله ، ضعيفاً فى صحته رغم جهود المدرسة حياله لأن المدرسة الأولى والمكون الأساسى للنشء هو البيت . فيكون الناشىء عند ذاك عالة على نفسه وعالة على المجتمع وربما وبالا عليهما .

وأما المشكلة الثالثة ، فهى مشكلة العزوبة المزمنة عند الرجال . فإن من أسباب هذا الداء العضال فى كيان المجتمع ، هو جهل المرأة لواجباتها البيتية ، وإنكارها لحياة البيت ، هذان الشيئان اللذان ينشأ عنهما الفوضى فى حياة الأسرة وتدهور اقتصادياتها ، وهذا الشىء الأخير هو الأهم . فإن الرجل قد أصبح يخاف من الحياة الزوجية ، بل من الزوجة نفسها التى صار يرى فيها ولا أبالغ فى ذلك، غولا لالتهام المال . نعم لقد صار الرجل يفضل حياة العزوبة رغم مشقاتها على الحياة الزوجية لمسئولياتها الجسيمة حيال زوجة جاهلة بواجباتها البيتية وحيال جيش من الخدم يستنفد كل ماله وكده وجهوده ، دون أن ينال من وراء ذلك استقراراً فى بيته أو راحة. من هذا السبب نشأ ذلك الخلل فى نظام مجتمعنا وهذه الثغرة الكبيرة فى بنائه .

وإنى لأرى تبعة هذا واقعة على أمهات الفتيات بالدرجة الأولى وعلى معاهد العلم بالدرجة الثانية ثم على الفتيات أنفسهن بالدرجة الثالثة .

فأمهات الفتيات يحملن التبعة الأولى فى ذلك لأنهن يجب أن يدركن بحكم تجاربهن فى الحياة الزوجية أهمية اتقان الفتاة لواجباتها البيتية ، وتفضيلها على كل عمل خارجى ، وكل مهنة تخرج بها من بيت الزوجية فتحرم أسرتها من ادارتها ورعايتها . يجب على الأم أن تساهم فى تكوين فتاتها تكويناً تصلح معه لأن تكون أماً عاقلة وربة بيت حكيمة ماهرة ، أكثر من أن تكون محامية أو طيارة أو مهندسة أو أى شىء آخر . وعلى الأم تقع التبعة الكبرى فى اعداد الفتاة لحياتها الطبيعية التى رشحت لها من قبل الطبيعة وتأدية رسالتها الأولى فى الحياة ، ألا وهى تربية النشء وإعداده صالحاً للحياة الحرة السعيدة الواعية .

وتقع تبعة هذا فى الدرجة الثانية على معاهد العلم لأن أكثرها يسلك فى تعليم النشء سلوكا واحداً غير مفرق بين ذكر وأنثى من ربة بيت ورب مجتمع ، فلا يكون الفتاة تكوينا أنثويا قويا يعدها لحياة البيت ، ويحببها فيها ويرغبها فى ممارستها . فإن كل ما تفعله المدارس أحيانا حيال الفتاة هو تعليمها بعض التطريز وبعض الرتق والرقع والرتى ، وما شابه ، وأحيانا بعض العناية بالأطفال وقليلا من فن التفصيل والخياطة لا يسمن ولا يغنى من جوع ، لأن الفتاة تتعلم ذلك فى جو بارد عديم العناية والاهتمام ، ولأنه فى أغلب المدارس لا يدخل فى الامتحان ، وإذا أدخل منه شىء فإنه لا يكون

بشكل مهم ذى تأثير على نتيجة الامتحان فى أغلب الأحيان . هذا ما تعلمه مدارسنا من التدبير المنزلى ، فضلا عن أن منها مالا يعلم من هذا الفن إلا قليلا جداً أو لا يعلم مطلقاً .

أما علم تدبير المنزل الوافى من كل نواحيه وعلم ضبط اقتصادياته بشكل يفيد حاضر الأسرة ومستقبلها ، وأما علم العناية بالطفل وتربيته التربية القوية من الناحية الصحية والأخلاقية والعقلية والنفسية أيضا ، أما علم التمريض أو الالمام به الذى يعد من مكملات ربة البيت ومن ضروريات الأسرة ، أقول أما هذه العلوم الضرورية للفتاة ، فلم يهتم فى تعليمها إياها من المعاهد فى أنحاء وطننا الكبير إلا النادر جداً وكذلك لم تطمح أية فتاة من فتياتنا إلى تعلمها ، فنشأ من هذا جهل المرأة لواجباتها البيتية ونظرتها التافهة إلى الحياة الزوجية .

وأخيراً تقع تبعة ترك البيت وإهمال الأسرة على المرأة نفسها هذه التى لا تعرف أو لا تريد أن تعرف أن الأسرة هى دعامة المجتمع وأنها هى دعامة الأسرة تصلح إن صلحت وأولتها رعايتها ، وتفسد إن فسدت وتخلت عنها فينهار المجتمع وتنهار الأمة بأكملها .

نعم ان المرأة قد نسيت أو تناست كل هذا ولم تشأ أن تفهم أن سر سعادة الأمة ورقيها هو فى سعادة الأسرة ورقيها هذه التى لا تنال هذه السعادة ، وذاك الرقى إلا إذا صلحت هى لإدارتها وأدت واجبها نحوها بأمانة وإخلاص .

وأخيراً أرى خيراً للمرأة العصرية أن تفهم ، أن هذا الطريق الذى تسلكه فى حياتها الحديثة ، مهملة بيتها ومنكرة رسالتها الأولى فى تربية النشء لهو وبال عليها بالدرجة الأولى لأنه يكون نقصا كبيراً فى أنوثتها ويحط من قيمتها فى نظر الرجل فتخسر كثيراً من احترامه وتقديره .

اللغة العربية في بلادها

« نشرت بمجلة (الأنيس) بمراكش الأسبانية »

اللغة العربية في بلادها

لن يضير اللغة العربية أن يكثر أعداؤها ، ولن يؤثر فيها أن يمعن هؤلاء الأعداء في محاولاتهم الفاشلة لهدمها ، ولن يستطيع أن يتطاول إلى عظمتها أصحاب الألسنة الطويلة الذين يحاولون أن يسلقوها بالانتقاد ، وقد قام جهلهم بها حجة عليهم وطعناً في شخصياتهم المعقدة وعقولهم القاصرة وتفكيرهم الضيق .

كلا لن يهم اللغة العربية شيء من هؤلاء المتطفلين على الفكر ما دامت جذور هذه اللغة الحبيبة في أعماق تاريخنا المجيد وما دامت ذرواتها تناطح سماء مجدنا الخالد .

بهذا الاعتقاد يعيش أبناء العربية الأوفياء ممن صمدوا أمام حملات أعدائها ونجوا من سمومهم . بهذه النظرة ينظرون إلى لغتهم الأم بالرغم من تلك الألحان الناشزة التي يحاول بها أعداء العروبة أولئك والمأجورون ، تعكير الجو بين اللغة العربية وأبنائها .

وهذه هي اللغة العربية التي يحاول هؤلاء الأعداء التنكيل بها يساعدون بذلك ، الاستعمار الغاشم الذي جثم على صدر الوطن العربي عصورا ثقيلة يحاول إخماد شعلة القومية فيه بقتل لغتــه الفواحة الأريج عبر التاريخ .

ومن أعداء اللغة العربية من هم من أبنائها الذين درجت ألسنتهم على حروفها كما درجوا هم على أرض الوطن العربي وأكلوا من

خيراته وعاشوا تحت سمائه ، هؤلاء الأبناء الذين يبدون هذا العقوق للغتهم الأم فيتحاملون عليها فى هجمات تتخذ ألواناً شتى ، هؤلاء يتهمون اللغة الفصحى بالقصور أحياناً ويرمونها ببشاعة اللفظ وثقله أحياناً أخرى ثم يحاولون تمزيقها فيعززون عاميتها البشعة المتداعية وينتصرون لها ويفضلونها عليها مدعين أنها أكثر طواعية وتعبيرا عن الفكر وتصويراً للأحاسيس . ويرمون أيضا بذلك إلى تعزيز الإقليمية الضيقة المحدودة بتمجيد حدود اللهجات العامية المهشمة وإلى تقطيع أوصال الوطن العربى الواحد بتقطيع أوصال لغته الواحدة وتشويهها .

وتعم فوضى هؤلاء المشوشين فى الوطن العربى ، يعضدهم الاستعمار وأذنابه فيشيع فى أبناء العربية هوساً غريباً فى التململ من لغتهم الأم والتهرب من قواعدها والتعامى عن سحر بيانها وصفاء جوهرها.

وهكذا ضعفت لغتنا فى أفواهنا وتهشمت على ألسنتنا وغاص جمالها فى أعماق جهلنا لها ، ثم رحنا نفخر بدراسة اللغات الأجنبية والرطانة بها .

وهنا لن أعيد حديثى السابق فى هذا الموضوع عن إهانتنا للغتنا الأم هذه ، بحشو حياتنا من كل ذلك العدد العديد من الألفاظ الأعجمية ، نباهى بها مستخفين بلغتنا ومن ورائها بقوميتنا ولكن سأتحدث الآن عن ضعف هذه اللغة وتهشمها على ألسنتنا .

فإن تصريح ذلك السياسى الكبير عن ضعف اللغة العربية عند شبابنا المثقف الذى قاله عن تجربة وخبرة بعد سقوط كثير منهم فى ترشحهم للسلك الدبلوماسى لتقصيرهم فى قواعد اللغة العربية ، أقول إن هذا التصريح المؤلم ، الذى مر ذكره فى حديث سابق . قد صدق علينا إلى حد كبير . وهو لم يصدق على شبابنا فقط بل ينطبق أيضاً على شاباتنا وكبارنا وصغارنا وأكثر من ينطقون بلغة الضاد فى وطننا الكبير بالغاً ما بلغ هذا الانطباق . . .

فإن من الطبيعى عندنا أن ترى الأغلاط اللفظية من نحوية وصرفية ولغوية فى قراءة أى من أبناء الوطن العربى مهما بلغت درجة علمه وعلت شهاداته بالغاً ما بلغ عدد هذه الأغلاط . . .

فأنت لا تنفك تسمع هذه الألفاظ الناشزة من كل فم فى وطننا الكبير وهو يقرأ الفصحى ، من طلاب العلم وأهل التعليم ، وأهل الصناعة والتجارة والسياسة وحتى من أهل الأدب تسمع تلك الألفاظ الناشزة من الإذاعات ومن الخطباء ومن كل قارئ وقارئة مهما سمت درجات علومهم .

وعند قراءة هؤلاء القارئين كثيرا ما تحس بحيرتهم وأحيانا بجهودهم فى ضبط اللفظ الصرفى والنحوى واللغوى مما يدل على ضعف تعلمهم لقواعد اللغة وقلة تمرنهم على اللفظ الصحيح .

وفى الكتابات ، أياً كان نوعها حتى فى المقالات الأدبية ترى

أحيانا من الأغلاط الصرفية والنحوية ما يجتهد الناشر فى تصحيحها أحياناً محافظة على مستوى صحيفته ، ويتركها أحيانا أخرى فتكون قذى فى أعين القراء . . . ويكون فى بعض الأوقات أصحاب هذه المقالات من ذوى الشهادات العالية . . .

وكذلك نرى أحياناً من الأدباء والكتاب من يستعمل فى كتاباته صوراً مغلوطة لا ترتكز على قاعدة من قواعد اللغة أو تكون مصوغة بشكل خاطئ لا يمت إلى الصواب بصلة .

ولكم كنت أحب تعديد هذه الأغلاط لو أننى فى معرض بحث قواعد اللغة نفسها وسلك ممراتها الطويلة المتشعبة التى تستهلك الصفحات الطوال فتذهب بنا عن الموضوع المقصود ، وكم كنت أحب عرض تلك الصور المشوهة التى لا يرتضيها ضمير عربى حر وهو يراها كالسوس تنخر فى كيان اللغة الأم .

وترى فى بعض البلدان العربية (المتفرنجة) كلبنان مثلا حيث يضعف تعليم اللغة العربية ترى من يحدثك من أهله ، كثيرا ما يخونه تعبيره العربى فيعمد بعد محاولة مزعجة لتذكر التعبير يعمد إلى ألفاظ أجنبية ليفهمك ما يريد إفهامك إياه . . .

فعلى من تقع تبعة تهشم لغتنا فى أنحاء الوطن العربى وتقلصها على ألسنتنا ؟ على من تقع تبعة تشويه لغتنا الأم ؟ أعلى المعلم أم على طالب العلم ؟ على القائد أم على المقود ؟ وإنى لأراها واقعة

على منهـاج التعليم نفسه وعلى كتب التعليم نفسها ، هذه الـكتب الموجزة التى لم تحو من كنوز لغتنا إلا أقلها ، وهذا المنهاج المقتضب الذى لم يجل فى آفاق لغتنا الفسيحة جولات موفقة كل التوفيق .

فللتمرين اللفظى فى المدرسة أهمية كبرى فى إتقان اللفظ الصحيح على قواعده الأصولية فى النحو والصرف وكلما زاد هذا التمرين وطالت مدته تمكنت قواعد اللغة من المتمرن وسهل عليه تطبيقها بعد خروجه إلى ميدان الحياة .

وإنى لأرى هذا التمرين اللفظى عسيراً كل العسر ما دامت كتب التدريس فى الوطن العربى إجمالا لا تحوى حركات الـكلمات إلا ما كان منها قبل الشهادة الابتدائية أو بعدها بقليل أحياناً . وأما بعد ذلك فعلى الطالب أن يجاهد فى تطبيق كل تلك القواعد التى تزخر بها لغتنا ، عليه أن يطبقها غيباً فى قراءته فتراه يرتبك فى تطبيقها ويغلط ويتلعثم ما شاء له ذلك طوال أيام دراسته الباقية حتى يخرج بعدها وهو لا يزال فى أغلب الأحيان حائراً أمام ألفاظ لغتنا التى لا حصر لها وتحار تلك الألفاظ على شفتيه . . .

وإنى لأقترح أمام هذه الحالة التى نرى فيها لغتنا الواسعة الغنية بالألفاظ والتعابير والقواعد المرنة الطيعة نراها تغوص شيئاً فشيئاً فى أعماق الإهمال وتتشوه على ألسنتنا لفظاً ومعنى ، أقترح أن تشكل كل الـكتب المدرسية فى الوطن العربى كله تشكيلا كليا حتى نهاية

التعليم التوجيهي . وليشمل التشكيل الحركات الصرفية أيضاً وليست النحوية فقط ليسهل تطبيق قواعد الصرف الصعبة فتخف وطأتها على الذهن وهي ترافق العين في التشكيل بكل الدروس العربية فلا تغيب عن الذهن بغياب الدرس الذي يشرحها .

وبذلك التمرين اللفظي الطويل الأمد الذي يرافق التلميذ كل أدوار دراسته حتى أبواب الجامعة ، مع تعلم قواعد اللغة تعلماً أصولياً واسع النطاق يستطيع التلميذ أن يتشرب اللفظ الصحيح تشرباً يقوي معرفته اللغوية ويرسخ اللفظ في ذهنه ترسيخاً ليس للنسيان إليه سبيل .

وإلى جانب هذا أقترح شيئاً آخر قد يبدو صعباً أو مستغرباً في البدء ولكننا سنعرف فائدته عندما نمعن في درسه وتمحيصه وهو أن نفرض التكلم بالفصحى داخل معاهد العلم العربية كلها في كل طبقاتها وأنواعها فيتكلم التلميذ بلغته الأصلية داخل المعاهد وخارجها ، في كل مكان من المدرسة وفي كل ظرف ، في الملعب وغرفة الطعام وغرف الصلاة وغيرها . وليكن هذا القانون حازماً شأن القانون المشابه بالنسبة للغات الأجنبية في كثير من مدارس العالم العربي إذ يفرض في ساعات معينة أن يتكلم التلاميذ لغة معينة للتمرن على تلك اللغة .

ولنفعل مع لغتنا الأم هكذا ولنخصص لها كل أوقات المدرسة

إلا ما خص الدروس غير العربية فتخف على ألسنتنا ونعتادها وتعم حياتنا فتحي ونحيا بها . لتنطلق ألسنتنا بالفصحى ثلثي النهار أو أكثر في الحياة المدرسية بعد أن طالما غلت هذه الألسن بقيود العامية البشعة في عصور الظلمات ، لتبرز الفصحى على ألسنتنا بعد طول احتجاب ولتسد حياتنا العادية فتنهزم العامية الإقليمية البشعة التى باعدت بيننا فى أنحاء وطننا الكبير وينهزم أنصارها أعداء لغتنا الأم .

ولنقو برامج التعليم العربى فى مدارسنا وخاصة الأجنبية منها التى يجب أن تقلل إلى أبعد حد إن لم تلغ ويمحى أثرها فنمحو أثر المستعمر فى فجر نهضتنا هذه .

نريد هذه الخطوات الحاسمة فى كل أنحاء وطننا العربى الكبير فى سبيل إنقاذ لغتنا هذه التى طالما انحطت فى عهد انحطاطنا ولم يعدلنا الآن عذر فى إهمالها ونحن نشرف على نعيم الحرية ونستقبل أنوار الفجر الجديد . . .

مَاذا تريدُ حوّاء ..؟

محاضرة « ألقيت فى نادى رابطة موظفى الحكومة المصرية بالقاهرة »

التنقيح بقلم المؤلفة

سؤال مبتكر جذاب يتراقص فى أذهاننا ويحتل مكاناً كبيراً من مشاكل العصر .

وهذا السؤال بالرغم من وجاهته وبالرغم من أهميته بالنسبة لحال المرأة المظلومة ليس فى بلادنا العربية فقط ولا فى الشرق فحسب بل فى العالم كله قديمه وجديده متأخره ومتحضره كما سأوضح فى سياق هذا الحديث . أقول بالرغم من أهمية هذا السؤال نرى الأكثرية منا لا تعيره العناية اللازمة بالنسبة للمرأة عندنا ولا تعمل لأجله بالجد والاهتمام الذى يتطلبه وضع المرأة عندنا ومركزها من الأمة التى نعمل جاهدين على نهوضها .

ولعمرى كم من الخطأ أن نستهين بهذا السؤال الذى يخفى وراءه قضية كبرى هى قضية المرأة التى هى مرآة الأمة ونصفه الشعب وصانعة الأجيال . فنضحك من مطالبها التى كثيرا ما تكون عادلة ونسخر من منطقها الذى غالبا ما يكون حقاً منتزعا من صميم واقعها المؤلم وظروفها الضيقة العسيرة التى فرضتها عليها عهود الانحطاط وأثقلها بها المجتمع فى كل عهوده قديمها وحديثها ، مظلمها ونيرها حتى القرن العشرين . هـــذا العصر الذى لا يقل بلاؤه على المرأة عن العصور المتأخرة إذ طبع المرأة على العموم بطابع مدنيته الزائفة المتهورة الطائشة ثم دفعها إلى الرجل

لتكون له الهية وأية هية . الهية رخيصة تافهة تملأ عليه حياته حتى ليتعثر بها الغربي في كل زاوية من حياته ، ويستطيع أن يشتريها الشرقي بدريهمات في أماكن اللهو والعبث الرخيص وغيرها . وسمى الغربي هذه الجناية بالحرية وسماها الشرقي بالتمدن .

فحواء تريد الانصاف من الشرق والغرب على السواء ، تريد انصافها من الشرق الذي أهملها كانسان فقيدها بتقاليد رثة بالية أفقدتها كثيراً من سعادتها ومواهبها ، وتريد انصافها من الغرب الذي أطلق لها الحرية الكاملة ، الخالصة من كل قيد عرفي وأخلاقي فخاضت بحر حياة الغرب الخضم تتعثر بالعقبات الأخلاقية وتسقط لدى كل واحدة منها فتتجرد من فضيلتها التي هي عنوان الأنوثة السامية والسعادة المثلى .

ونرى الشرق والغرب يلتقيان في وطننا العربي هذا يتجاذبان المجتمع إلى جهتين متناقضتين فيتنازعان المرأة إلى ناحيتين مختلفتين لاثالثة وسطاً بينهما فنراها ضائعة بين هذين الطرفين تنوء بسيآتهما أكثر مما تنتفع بحسناتهما ، فيحملها الشرق الجاني أكثر مسئوليات مجتمعه المريض ويكبلها بالقيود والتقاليد بغية إصلاحه بينما يهب كل الحرية للرجل ، الحرية الخالصة من القيد العرفي والأخلاقي فكانت عاقبة هذا بلاء ثانيا على المجتمع نفسه وعلى حواء بالدرجة الأولى .

وكذلك يمعن الغرب بطبعها بألوان سطحية باهتة تميل بها إلى

التوافه أكثر من الجديات فحصرت همها فى لبسها وزينتها أكثر من تربية أولادها التربية الوطنية التى تصلح بها الأمة ، كما يثقل حياتها بمشاكل عديدة أهمها الإباحية وما نتج عنها من انهيار خلقى أوجد داء العزوبة عند الرجال .

فحواؤنا تريد انصافها من هذا الوطن الذى أخذ من مساوىء الغرب أكثر مما أخذ من محاسنه فرماها بهذه الاباحية عند أكثر شبابنا ، التى تعترضها كيفما دارت وأنى اتجهت فتمس كبرياءها وحشمتها وعزة نفسها مما أدى إلى هذا الانهيار الأخلاقى الذى نعانيه فى مجتمعنا فأوجد داء العزوبة عند أكثر شبابنا والروح المادية المسفة بأصحابها التى جعلتهم يفتشون عن الزيجة المادية الرابحة فكانت عاقبة هذا أليمة مرة للمرأة فاضطرت أن تحمل ما يحمل الرجل من مشاق تحصيل العيش فكان حملها أثقل من حمله وجهادها أمر من جهاده حيال تكوينها الرقيق وأعصابها الضعيفة وظروفها الدقيقة الخطرة كما ذكرنا من قبل .

فالمرأة العربية تريد الخلاص من هذا الداء عند أكثر شبابنا فى الوطن العربى . هذا الداء الوبيل الذى كثيرا ما جعل منها وهى فى عنفوان الشباب زوجة لكهل تمرضه أو لشيخ عجوز تئد حياتها فى حياته كما تقدم .

هذه الألوان الغربية من الحياة هى التى تطلب حواؤنا الخلاص

منها ، هذه الألوان التى قبلناها ومشينا على وتيرتها فتفشت فى جميع نواحى حياتنا . فصرنا نراها حتى فى الإعلان الذى لم يعد يصلح إلا بعينى المرأة أو صدرها أو ساقيها . وحتى فى الحفلات الرسمية الجدية التى تتقدم فيها الراقصة شبه العارية لتعرض حركاتها وأغانيها على الحاضرين .

وإذا أردنا أن نعدد مطالب المرأة العربية كلها من مجتمعها ، فأعتقد أن المجال سيضيق عن هذا حيال حاجات المرأة الكثيرة للنهوض ، والوصول إلى الحياة الكريمة المجدية ، المتحررة من الرجعية الجائرة ومن المدنية المتطرفة على السواء ، من القديم الداكن المغم ومن الحديث المتطرف الباهت اللون ، السطحى المعنى التافه المبنى .

هذا بعض ما تريده حواؤنا العربية من مجتمعها وهى تريد أيضاً من الشاب على العموم أن يتخلص من مدنيته هذه المتطرفة التى تخوله حق التبرج والزينة ، ومن هذه الميوعة الأميركية التى كثرت فى مجتمعنا العربى والتى تجعل جل هم الشاب لبس الألوان الصارخة ومضغ اللبان فى الشوارع والعبث البارد السخيف . فهى تريده أن يكون رجلا بكل معنى الكلمة ، خالصاً من توافه المدنية الزائفة هذه ، ينظر فى مجتمعه ويحلل أدواءه فيعالجها ، وينظر إلى أمته فى محنتها فيهبها جهوده وماله ودمه .

وبعد هذا ، ونحن نواصل تعداد مطالب المرأة العربية ، نراها ما زالت تستنجد المسئولين لانقاذها من وهدتها التى أردتها بها

العقلية الرجعية التي لا تزال موجودة في بلادنا العربية فحرمتها من العلم بوجه عام في أكثر أنحاء وطننا الكبير ومن مساواة أخيها فيه إلى درجة توجد ذلك الإنسجام بينها وبين أخيها الرجل وذلك الفهم لعقليته ، وذلك التجاوب بين تفكيرها وتفكيره الذي من شأنه أن ينير أمامها سبل الحياة السعيدة الواعية ويجعل منها أبنة وطنها البارة ورفيقة زوجها الفاهمة المتزنة العاقلة . .

وهذه العقلية الرجعية التي حرمت المرأة من العلم بوجه عام ومساواة أخيها فيه ولو نسبيا ، قد أوجدت عدم الإنسجام هذا بين عقليتها وعقلية زوجها وعـــدم تفاهمهما واختلاف نظرتهما للحياة وما يترتب على ذلك غالباً من خلافات بينهما وشقاء للأسرة كلها

وهذه المصيبة لا نستطيع أن نوفيها حقها من الوصف بهـذه الكلمات الوجيزة ، فانها مشكلة كبيرة في كثير من بلادنا العربية وخاصة التي ما زالت المرأة فيها ترزح تحت كابوس الجهل . فيواجه هذه المشكلة شبابنا العربي الذي يستقي العلم في بلده والخارج ثم يعود ليقف حائراً في كيفية إيجاد الزوجة المثقفة التي تستطيع أن تفهمه ويستطيع أن يحترمها .

وحيال هذا كله تقترح المرأة فرض التعليم الإجباري الابتدائي للفتاة والفتى على السواء في كل أنحاء الوطن العربي الكبير فلا يفضل عليها الثاني في ميدان العلم هذا ولقد قالت الحكمة المأثورة ، من

علم فتى فقد علم فرداً ومن علم فتاة فقد علم أسرة . وتطالب المرأة بتشجيع الفتاة على نطاق واسع لإكمال علمها بطرق المساعدة إلى درجة تكفل لها الإفادة من علمها وإفادة الوطن به . وسيكون ذلك خطوة أولى للمساواة بين الجنسين بالعلم والثقافة وبه ستندحر الرجعية ونكسب الفتاة الراقية التي هي المربية الأولى للنشء وصانعة الجيل .

وتريد المرأة أيضا الخلاص من ذلك الشيء الذي ما زال يثقل كاهل المرأة العربية ويعد من أهم مصائب الرجعية المقيتة في وطننا العربي الكبير إلا وهو حجاب الوجه . فالمرأة العربية تطالب بإزالة هذا الخطر الذي يهدد مستقبلها القريب والبعيد ويطمر مواهبها . وبالرغم من ادعاء البعض بأن ظل الحجاب قد تقلص تقريباً عن البلاد العربية فإن الواقع يناقض هذا الادعاء . فهو ما زال باسطاً سلطانه على المرأة العربية عموماً كما رأيت ذلك بنفسي في أكثر أنحاء وطننا الكبير بغض النظر عن تفاوت مبلغ انتشاره في بلد ، عنه في البلد الآخر ، حتى إنني رأيته في بلد عربي راق يدخل مع المرأة إلى الجامعة في حالات كثيرة فيثقل نفسها ويكبت شعورها الزاخر بكرامتها ، وهو مازال يتحكم بحياة المرأة كما كنت تحدثت كثيرا من أنه يوجد قانون اجتماعي في بعض بلاد الجزيرة العربية يفرض على المرأة المواطنة فيها وهي تلبس العباءة التي تطمرها من رأسها لأخمص قدميها ، يفرض عليها إذا كشفت وجهها أمام رجل من غير محرمها

أن تجلد وهى موضوعة داخل كيس يقفل عليها بابه . لذلك كثيراً ما تراها محتفظة بغطاء وجهها حتى أمام النساء لشدة الخوف . ولقد حاولت بنفسى أن أقنع كثيرات منهن بكشف وجوههن ونحن فى مكان لا يحوى رجلا واحداً فكانت الواحدة منهن تمسك غطاء وجهها بذعر وتجيب بخوف « لا لا يدقونى » وهذه الكلمة تشير أى ذلك العقاب بالشكل الذى وصفناه . ولقد طالما تحدثت عن هذه المآسى فى أحاديث مطولة كأمثلة على شقاء المرأة فى تلك الأقطار . وهذا الحال يوجد ما يماثله أو يقرب منه فى كثير من بلاد الجزيرة العربية كما شهدت بنفسى .

وهنالك بلاد عربية تفتخر المرأة الشريفة فيها بأنها لم تخرج من بيتها كل حياتها وأخرى لا يرى فيها وجه امرأة لا داخل بيتها ولا خارجه إذ أنها لا تنفك واضعة غطاء دائماً على وجهها لا يفارقها فى كل ظروف نهارها وكأنه عضو من أعضائها وقطعة من جسدها فهى محجبة حتى أمام زوجها إلى أجل معين .

فالمرأة وهى تعدد مآسى الحجاب ، هذه المآسى الحرية بأن تردد ذكرها دائماً والتى تعرقل سير المرأة فى الحياة الحرة الكريمة المجدية ، تطلب من أخيها الرجل فى كل أنحاء وطنها الكبير أن ينظر إلى مجتمعه نظرة جدية ويقدر حاجة هذا المجتمع إلى المرأة المستنيرة والأم المثقفة ليعرف كم هو جان على نفسه وعلى المرأة بذلك القيد الذى لم يثبته الدين ولم يقره العقل والمنطق .

وتنتقل حواء العربية فى مطالبها إلى نطاق الأسرة ، فهى تريد أن تحفظ أسرتها من الدمار وتطلب حماية هذه الأسرة وانقاذ سعادة البيت الذى فيه سعادة الأمة وذلك بتقييد الطلاق ضمن شروط مشددة تمنع الرجل من التلاعب بروابط الزواج المقدسة وتضمن للمرأة طمأنينتها وهناءها وللأطفال عيشهم فى ظلال الآباء والأمهات .

وإن لقصة الطلاق مآسى تمثل على مسرح مجتمعنا العربى فتذهب ضحيتها المرأة التى تجد نفسها طريدة من بيتها بين ليلة وضحاها بل وحتى فى لحظة واحدة . ويذهب ضحيتها الأطفال الذين يتشردون بتشرد أمهم أو يحملون فى نفوسهم الأمراض النفسية التى تثقل حياتهم ومستقبلهم ، وهكذا تتشتت الأسرة بسبب نزوة عارضة من الرجل ورغبة جامحة طائشة .

وبالرغم من وجود هذه المآسى بكثرة فى مجتمعنا العربى لم يفكر المسئولون فى كل أنحاء الوطن العربى أن يشعروا مع المرأة التى تجد نفسها فى لحظة مرمية خارج بيتها مفجوعة النفس بالزوج الذى كانت قد منحته ثقتها ووضعت فيه آمالها ، وبعيدة عن أولادها وفلذ كبدها ، وعن ذلك البيت الذى ساهمت فى تكوينه والذى كانت تظنه مستقرها ومقر أمنها وطمأنينتها .

لم يفكر المسئولون بأن يشعروا مع المرأة ليقيدوا الطلاق فى كل أنحاء الوطن العربى الكبير وهم يعلمون أنه أبغض الحلال إلى الله .

ولهم من القاعدة الفقهية القيمة خير منفذ إلى التقييد وهى أن تقييد المباح جائز . إن المرأة لتطالب بتقييد الطلاق إلى أبعد حد لتضمن مستقبلها ومستقبل أولادها وسلامة أسرتها .

وأخيراً تريد حواء شيئا مهما سيبدو غريباً مستهجنا ولكنه من صميم مصلحتها والمصلحة الوطنية . وهو منع الزواج بالأجنبيات فى كل أنحاء الوطن ، هذه العادة التى انتشرت فى وطننا العربى فجنت على كثير من الفتيات المثقفات اللواتى حزن ما يقابلهن من الشباب المثقف بزواجهم من الأجنبيات ، فقضى عليهن بالكساد مما يساعد على الفساد فى مجتمعنا العربى ، كما جنت هذه العادة الجناية الكبرى على الوطن لدخول العناصر الغريبة فى كيانه التى لم تتثقف بالثقافة العربية ولم تتشرب بحب الوطن العربى ولم تؤمن بالكرامة العربية فيه ، ثم بعد ذلك تعطى هذا الوطن أبناء تشربهم الكثير من روحها هذه وتبثهم الوافر من طباعها تلك فيكونون فى الغالب عربا ليسوا كالعرب فلا يجرى فى عروقهم الدم العربى الخالص من أوشاب المستعمر ولا تستحثهم النفس العربية الطامحة لاسترداد المجد العربى القديم ولا تتسامى أرواحهم فى دنيا العروبة الخالدة .

وأخيراً قبل أن تنتهى حواء من أهم مطالبها تحب أن تصل إلى قضية لها شأن كبير فى حياتها ومساس قوى فى كرامتها الإنسانية ألا وهى حقها فى الانتخاب .

وحواء العرب يسوؤها جدا أن تكون محرومة من هذا الحق

فى أكثر بلادنا العربية وتشعر بالإهانة فى أن يفضل الرجل الأمى عليها مهما كانت متعلمة ، فيكون له رأى فى انتخاب من سيساهم فى إدارة دفة الحكم فى بلاده ويهيئ له مستقبله . ولقد جاهدت المرأة وضحت للوصول إلى هذا الحق لأن كرامتها الإنسانية تأبى عليها أن تحكم فى هذه الحياة بدون أن يكون لها رأى انتخاب الحاكم الذى سيدير دفة حياتها ويتحكم بمستقبلها . وحواء تطالب الآن بأن تكون ناخبة فقط فى أول أمرها وهى تمارس حياتها الخاصة فتكون مكلفة بإدارة الأسرة وتحمل مشقات إنجاب النشء وتربيتهم بالعناية التى تجعلهم مواطنين صالحين ، لقد اختارت أن تكون ناخبة فقط وهى فى دور الأمومة لتوفر على نفسها متاعب الوظيفة ومشاق الترشيح بما فيها من فوضى فى الدعاية ومنافسة الخصوم ولتتفرغ للبيت الذى هو الخلية فى جسم الوطن يصلح بصلاحها ويفسد بإهمالها وفسادها . ولكنها تطالب بدخول البرلمان وإدارة دفة الحكم وتسير نفسها بنفسها عندما تفرغ من واجب الأمومة المقدس ومتاعب التربية القويمة وتكوين النشء فتكون قد تجاوزت الأربعين واكتملت أهليتها لحياة البرلمان .

ولن نستطيع تقدير هذه المطالب إلا إذا عرفنا جيداً وقدرنا تماما أن المرأة هى مرآة الأمة والمدرسة الأولى للنشء وصانعة الأجيال ، وأنه ليس من الممكن لامرأة مكبلة بالقيود أن تصنع رجلا حرا .

ونحن أيضاً نريد غسل الإهانة ...!

« نشرت فى مجلة (العالم العربى) فى القاهرة »

— ونحن نشاهد في مصر تدريب المرأة —

في هذا العهد المكهرب باعتداءات اليهود على أراضينا ، وبصدد هذه الاعتداءات عندنا من تحمس ضدهم واستعداد عسكري شامل في أكثر نواحي وطننا لمقاتلتهم وغسل هذه الإهانة التي لحقت بنا من وجودهم في أرضنا بإبادتهم وتطهير وطننا منهم :

في هذا العهد الخطير وفي هذه الظروف الدقيقة نرى هذا الاستعداد قاصراً على الرجل فقط دون المرأة في أنحاء الوطن العربي ، على نصف الأمة فحسب ، على جانح منها دون الجانح الآخر .

فالرجال وحدهم الذين يتمرنون على النظام العسكري وحمل السلاح واستعماله بشتى أنواعه للانتقام من الأعداء وغسل الإهانة . أما النساء فهن بمعزل عن كل هذا في كل أنحاء الوطن العربي تقريباً ، إلا بلداً واحداً هو مصر الذي أبدى بعض العناية بالمرأة من الناحية العسكرية ، فكأن هذا الوطن المهدد ليس وطنهن ، وكأنهن لم يدرجن على أرضه ولم يتغذين من خيراته ولم يترعرعن تحت سمائه .

وغداً عندما تبدأ المعركة الكبرى بيننا وبين العدو معركة التطهير الحاسم التي سنبيد فيها أولئك اليهود الأوباش من أرضنا المقدسة ، غداً عندما نهب لغسل الإهانة ومحو العار الذي لحقنا من وجود اليهود في أراضينا ، غداً ، في ذلك الحين سوف نرى المرأة تتقهقر وتجبن وتخاف وتعجز عن الجهاد .

فى ذلك الحين سوف يهب للعمل نصف الأمة فقط أما النصف الآخر فسيبقى نائماً ، نعم نصف الأمة فقط هو الذى سيهب للجهاد ويندفع باذلا دمه فى هذه المعركة الحاسمة فيفوت الأمة كثير من قوتها وحيويتها بل إنها ستكون كمن يقف على ساق واحدة ويقاتل بيد واحدة .

ولا أدرى من سيرضيه هذا الوضع ، أيرضى الرجل أم المرأة ؟ أم يرضى واقعنا الخطر فى ذلك الحين ، أم يرضى الحق والعقل والمنطق وتاريخنا الحافل بجهاد المرأة إلى جانب الرجل فى سبيل الوطن ؟ . .

لقد حاربنا اليهود بكل فرد منهم رجالا ونساء لأجل قضيتهم الباطلة . وهم الآن يستعدون بكل فرد منهم أيضاً رجالا ونساء لمحاربتنا واغتصاب زيادة من أراضى وطننا الكبير . أما نحن « رجالا فقط » فإننا سنقابلهم بنصف عددنا ، وقضيتنا هى قضية الحق والعدل والمنطق ، فلماذا ؟ . لماذا هذا التهاون منا ونحن أمام قضية حق ، وحيال معركة حاسمة ستقرر حياتنا أو موتنا ؟ نعم وأكرر هذا لأننا فى حربنا لليهود لا نقاتلهم وحدهم فقط ، بل إننا سنقاتل معهم أعاظم دول الغرب ، سنقاتل أميركا وفرنسا وانكلترا وحتى روسيا إذا حذت حذوهم فى التنكر لنا . هذه الدول التى ضربت عرض الحائط بكل

معانى المدنية والعدل والإنسانية والرقى التى تدعيها ، بعناصرتها اليهود فى أرض فلسطين المغتصبة .

نعم سنكون غداً أمام قوى الغرب الغاشمة فى معركتنا الكبرى مع اليهود . . . فعلينا أن نستعد جميعاً فى وطننا الكبير رجالا ونساء لمجابهة هذه المعركة الحاسمة ومواجهة قوى الظلم والعدوان تلك . نريد أن نستعد جميعا فنتمرن على حمل السلاح ونتشرب الروح العسكرية تشرباً يسرى فى دمنا ويملك علينا كل مشاعرنا واحساساتنا . نريد أن نهب جميعاً ساعة المعركة هبة رجل واحد لنفدى هذا الوطن بدمائنا ونطهر أرضه المقدسة من اليهود وأذنابهم.

نعم يجب أن نمرن نساءنا على حمل السلاح فى كل أنحاء الوطن العربى استعداداً لذلك اليوم ، نريد أن نتمرن على استعماله ونستعد لهذه المعركة الكبرى التى ستقرر مصيرنا .

لذلك نريد معسكرات نسائية نتمرن فيها على خوض المعارك ، وأمراً حكومياً بتعبئة النساء كالرجال تماماً عندما تدق الساعة وتبدأ معركة الخلاص ولتقصر التعبئة على الشابات والفارغات من الأمومة فقط وخاصة المتعلمات حتى لا يستغربن هذه الفكرة ويستصعبن تحقيقها . وأما باقى نساء الأمة فلتنشأ لهن مؤسسات حكومية لتعليم فن التمريض بشكل إجبارى فلا يضير المرأة أن تقضى يومياً ساعتين من وقتها فى المؤسسة لتتعلم هذا الفن وهو فضلا عن أنه سيفيدها كثيراً وقت

السلم فى حياتها البيتية كربة عائلة فإنه من أشد ضروريات ظروف الحرب .

وبهذا المشروع سوف نحيي القوى الكامنة فى النصف الآخر المهمل من بنات الوطن ، ونضيف إلى قوتنا الحربية قوة جديدة .

وأخيراً بهذا سوف يتاح أيضا لنساء الوطن كلهن التعبير عن شعورهن نحو الوطن الحبيب والاشتراك فى معركة التطهير القادمة وغسل الإهانة .

يجب اعادة نشرها في صحيفة بعنوان :
- زهرة ودمعة -

لا جدوى .. ولا أمل ..!

« نشرت في مجلة (عصا الجنة) بدمشق »

لا جدوى ولا أمل

لا جدوى ولا أمل ، هذه هى العبارة التى تتردد على أفواه الكثيرين فى الوطن العربى الكبير اليوم عندما نتحدث عن فلسطين وعن إمكان استعادتها .

واننا على العموم نلفظها كلازمة لمقاطع حديثنا عن مصيبة فلسطين ، ثم نختم بها حديثنا هذا فنختم تفكيرنا فى كل ما يتعلق بفلسطين ، ثم نسدل الستار . . .

لقد صارت هذه العبارة فى الغالب نقطة الوقف فى أذهاننا التى تريح هذه الأذهان من عناء التفكير والشعور بالمسؤولية ، وأمست هوة اليأس التى تبتلع عزيمتنا وآمالنا وثقتنا بأنفسنا ، نلفظها دائماً مع آخر زفرة .. وآخر أمل .

لقد وصلت بنا الحال فى كل أنحاء الوطن العربى إلى هذه الدرجة من اليأس والقنوط والاستسلام للأمر الواقع فخذلنا بذلك أنفسنا وأهنا كرامتنا .

نعم لقد أهنا كرامتنا وما أشدها أهانة بصمتنا هذا ويأسنا الذى يعنى اعترافنا بدولة العصابات التى تعيش على أرض وطننا العربى تتوعد بكل وقاحة وجرأة بالتهام ما بقى من كياننا .

وهناك من سيقول : « إننا لم نعترف باسرائيل ولن نعترف بها » . ولكن أليس هذا السكوت منا عنها ومظاهر اليأس هذه من

الخلاص منها واستعادة أرضنا العزيزة اعترافاً صريحاً بها كدولة ثابتة الأركان ليس لنا فى إزاحتها حيلة رغم كثرة عددنا وقلة عدد أبنائها ؟

أليست العبارة التى لا تنفك سائدة أحاديثنا عن فلسطين فى وطننا كله وعن مغتصبيها والتى تحمل معانى اليأس والضعف أليست دليلا على اعترافنا باسرائيل كدولة تبسط سيادتها علينا أكثر من غيرنا بإرهابنا وبث هذه الروح اليائسة فينا التى جعلتنا نردد بدون خجل : لا جدوى . . . ولا أمل ؟

بل أليست هزيمتنا فى فلسطين ونحن نملأ الأرض عدداً اعترافاً منا بقوة أولئك المتشردين الصهاينة واقراراً بكيانهم كدولة ثابتة تفوقنا قوة ؟

إننا بكل هذا نعترف بقيام دولة اليهود على أرض الوطن صابرين على الضيم راضين بالأهانة متعامين عن العار مستعيدين لهذه العبارة التى ملأت أذهاننا وشلت تفكيرنا « لا جدوى . . ولا أمل » .

وما أفظع أن نفعل هذا نحن العرب الشم الذين يجرى فى عروقنا دم أجدادنا الأبطال الذين ضربوا للعالم أروع مثل فى الشجاعة والإباء والشمم . ما أفظع أن نعترف بدولة اليهود فى أرض وطننا المغتصبة ونسكت عن الهزيمة ونرضى بعارها .

اننا نحن ، نحن العرب ، أحفاد على بن أبى طالب ، وعمر بن

الخطاب ، وخالد بن الوليد ، وطارق بن زياد ، نضعف أمام هذه الشرذمة المتشردة من أبناء صهيون وننهزم ونيأس من النصر مرددين « لا جدوى . . ولا أمل . . »

أى عار علينا فى هذا وأية أهانة لأجدادنا الشم ولأحفادنا من بعدنا ، هذه التى ستستمر أجيالا وأجيالا ؟ .

أى عذر لنا فى استسلامنا لهذا الضعف الذى لم يعرفه أجدادنا الأبطال ؟ أى عذر لنا ونحن مستعبدون لهذا اليأس الذى يكاد يقضى علينا ؟ . . ما هو عذرنا فى كل هذا ونحن نملأ الأرض بعددنا ونملأ التاريخ بمجدنا ونملأ النفوس بذكائنا وشجاعتنا وإقدامنا ؟ .

ما حان لنا أن نستيقظ من غفوتنا هذه لندرك هذه الثروة الوراثية من سجايا أجدادنا الذين ملكوا بها العالم فنتكاتف ونوحد كلمتنا لنحلق فى أفق الحياة من جديد ؟

أما حان لنا أن ننتبه ونعى هذه القوة الوراثية التى نملكها وأن نعرف قيمتها فنخلصها من صدأ الإهمال لنتخلص من هذا الضعف ومن هذا اليأس ومن هذه العبارة الجانية « لا جدوى . . . ولا أمل . . » ؟

عهد التخنث

عهد تحرير وانطلاق ...

« نشرت في مجلة (العرفان) اللبنانية »

عهد التخنث

عهد التخنث : هو هـذا العهد الذى عملت فيه الفوضى، وانقلبت الأوضاع وساد الضعف والتراخى عند كثير من شبابنا اليوم .

هذا العهد الذى تملكت فيه الميوعة كثيرين من شبابنا واستحوذ عليهم التبرج وأسرهم الغنج والدلال .

عهد التخنث هذا هو عهدنا يا صديقى القارىء . . . الزمن الذى توارت فيه الرجولة خلف الحواجب المزججة ، والشفاه الموردة ، والأظافر اللامعة .

فى هذا العهد السعيد شهدت دور التجميل نوعاً جديداً من الزبائن ، هو النوع الخشن الذى دخلها ليدفن فيها مزايا الرجولة والعزة والكرامة ويخرج بعد ذلك دمية تتسكع فى الشوارع .

وترى هذه الفظائع كثيراً فى دور التجميل الوفيرة العدد والحمد لله فى وطننا الكبير .

ولقد كان لى « الحظ » أن أشهدها بنفسى أكثر من مرة ، فشهدت بها مهازل العصر ومآسى الشباب على كرسى التجميل .

لقد رأيت هذا المخلوق المائع الذى يسمى نفسه بالرجل ، متراخياً على المقعد وقد مد يده بفتور للعاملة التى راحت تشتغل

بأصابعه المتهدلة ، فتشذب أظافره بدقة واناقة ثم تغطيها بذلك الطلاء الأبيض اللماع المسمى « بالا كليدور » .

وتمثلت لى حياتنا كلها فى تلك اللحظة ، حياة الأمة العربية بأسرها ، مرت أمام ناظرى كل مصائبنا القومية كشريط سينمائى فتجسمت أمامى المأساة وعظمت الرزية وأنا أرى عصب هذه الأمة يتلاشى على مقعد التجميل .

وكذلك كان لى « حظ » أكبر أن أصادف هذه الفئة من الشباب أينما اتجهت فى أنحاء وطننا المترامى الأطراف ، تعيش مع الناس دون خجل وتظهر فى النور بشكلها المخزى . وكذلك لم يفتنى أن أرى عملية التجميل هذه تكرر علناً فى البيوت وعند الحلاقين أحياناً ، بأشكال مختلفة وأن أسمع من بعض أصحابها أن عملهم هذا هو تحرر وانطلاق ومرآة لعصرنا الذى هو عصر التحرر والانطلاق .

وهذه البدعة ، بدعة شباب (عهد التحرر والانطلاق) المحببة إلى نفوسهم هى تشمل كل ما يشوق الشاب المخنث ويجذبه من تزجيج الحواجب وتنعيم الوجنات وتلميع الأظافر وتلوين الوجه والشفاه ولبس سلسلة العنق الذهبية الدقيقة الصنع وتجعيد الشعر وعقصة فوق الجبين . إنها مقبرة الرجولة والعزة والكرامة ، وهى داء كريه فى عصب هذا الوطن العزيز ، يدفن تحته كل ما فى الرجولة من كرامة وكل ما فى هذا العصر من تحرر وانطلاق . . .

وهذه العملية منتزعة من أوساط الشباب وقد صارت شيئاً عاديا عند ممارسيها لا يخجلون من الجهر بها وعملها أحياناً أمام الأعين والأبصار . يقومون بها فى بيوتهم أوعند الحلاقين أو فى دور التجميل على مقعد الزينة الوثير . .

وينفى بعض الشباب عن نفسه داء التجميل هذا ، ولعله برىء منه ، ويروق لبعض آخر المغالطة والتعمية والتعصب الجنسى بإنكار مايقع تحت سمعه ونظره ، فيكان مثله كمن ينكر وجود الشمس المشرقة ونورها يبهر بصره .

وما كان أجدر من يغالط ويموه أن يعرض معنا هذه الحقيقة لنعالج مصائبنا الاجتماعية وما أكثرها بهمة سلاحها الإخلاص ورائدها صالح الأمة وصالح هذا الوطن الحبيب .

وإننا ونحن نموه الحقيقة ونغالط أنفسنا لنشجع الفساد فتعظم الرزية وتعم المصيبة ونطعن الوطن فى الصميم .

فبدعة التجميل هى حقيقة واقعة لا شك فيها عند الكثيرين من أبناء هذا الوطن الكبير . فنافس الشاب الفتاة على المرآة وصار على العموم يقضى أمامها وقتاً أكبر مما تقضى هى . وهو يعترف فى الغالب ببعض هذه الحقيقة ، وأحياناً بأكثرها ويسميها بأسماء مختلفة منها (التنظيف) ومنها (الاناقة) ومنها الانطلاق والتحرر من الجمود .

تلك هى جل شبيبتنا ، وهذا هو سواد الجيل الذى نعقد عليه الآمال وينتظره هذا الوطن المسكين وتشخص إليه فلسطين الأسيرة بعين التوسل والاستنجاد .

هؤلاء هم عموم شبابنا فى هذا الوقت العصيب الذى يهان فيه الوطن فيزيدونه إهانة ويداس وتقطع أوصاله فيزيدونه ألماً وشقاء .

هؤلاء هم شبابنا فى هذا العهد الذى صارت فيه الفتاة المتنورة تعيب على نفسها الميوعة والتبرج ، وترى ضرورة اشتغالها بالعمل الجدى المثمر .

فما كان أجدر الشباب الذين يسترسلون فى عملية « الانطلاق والتحرر » هذه أن يلاحظوا أمراضنا الاجتماعية التى يناط إصلاحها بهممهم أكثر من غيرهم ، هم الذين تراهم لا يتحركون فى هذا السبيل بل يزيدون الطين بلة فى ابتكار بدعة التجميل هذه . . .

وما أظلمهم للحقيقة وهم يطلقون هذا الاسم السعيد على عصرنا الرازح تحت عبودية الأجنبي وعبودية كل ما هو أجنبى ، هذا العصر الذى ملكتنا فيه مدنية الغرب وكل مساوىء مدنية الغرب فخضعنا لها ولم نشأ أن نتحرر وننطلق فى عهد الانطلاق والتحرر هذا . . .

وما أشد جورهم على الواقع وهم يسمون عصرنا بعصر التحرر ونحن لم نتحرر فيه إلا من عروبتنا الحقة وأخلاق آبائنا وأجدادنا ومزايانا العربية الأصيلة .

كلا ليس من صالحنا أن نموه الحقيقة إلى هذا الحد ونخدع أنفسنا بهذا الشكل ونحن نرى يد الأجنبي تعبث في كياننا ، ومصائبنا القومية تقع أمام سمعنا وبصرنا وتتفاقم يوما بعد يوم وأكثر شبابنا لاهون بتوافه الأمور وعملية التجميل تلك . . .

فعهد التخنث هـذا هو عهد عارنا بالاستخذاء للأجنبي ولـكل ما هو أجنبي باعتناقنا لعملية التجميل هذه التي هي وليدة الاستهتار الأوروبي الذي يملك شبابنا والميوعة الأمريكية .

نعم هذا العهد هو عهد العار الذي لن يمحى ما دمنا على هذا الحال يصدق علينا قول الشاعر :

كم فتى كالفتاة يعقد في المفرق تاجاً ويشبع العين كحلا . .

هذا هو عهد التخنث عهد جل شبابنا المائع العابث الذي رضى بذل الهزيمة في كل ناحية من حياتنا واستكان لوصمة العار ونام عليها ليحلم بزينة اليوم الجديد وعبث اليوم الجديد . . .

ويل لنا من هذا العهد الذي ضعنا فيه بغمرة التيار الأجنبي وانهزمنا أمام سجايانا العربية الأصيلة وأضعنا تراث الأجداد .

فإلى أين نحن صائرون ومتى يقف بنا ذلك التيار أو نقف به ؟ ؟ لنرى من يغار على مصلحة الوطن وكرامة الرجولة يهب لتشديد النكير على المخنثين وتطهير الوطن منهم وإفهامهم أن الحرية لا تنال والمجد لا يكتسب بالحواجب المزججة والأظافر المطلية (بالأكليدور) .

نحو يقظة عربية ووعي جديد

« ألقيت فى نادى رابطة موظفى
الحكومة المصرية بالقاهرة »

— فجر نهضة عربية ووعى جديد —

يعانى العالم العربى اليوم ظـروفا عصيبة فى حياته القومية والاجتماعية ، ويخوض معركة حاسمة سيسطرها تاريخه بأحرف من نور .

وهو ما ينفك على العموم يجاهد للتخلص من قبضة المستعمر ومايفتأ يتململ متنكرا للظلمات التى ما تزال منبثة فى حياته ، وقد بدا فى آفاقه نور فجر الوعى الجديد . . .

ويتردد نداء اليقظة العربية فى أنحاء وطننا الـكبير فيموج فى أحاسيس المخلص من أبنائه ، وتمور به نفوس المتنورين الأوفياء من أتباع العروبة ، ويشرق فى أرواحهم أملا جديداً يبدد مايثقل ماضى الأمة من زفرات وما يحمل حاضرها من دموع . . .

على أن فجر نهضتنا الجديدة فى الواقع لم يبدد جحافل الليل الطويل بعد . فما تزال الطريق أمامنا طويلة شاقة وعرة ، ينتظرنا فيها الجهد والعرق والدموع للوصول إلى حريتنا المسلوبة ورقينا الحقيقى وكرامتنا العربية الأصيلة .

فالمعركة التى نخوضها كبيرة شاملة ، تتصل بكل نواحى حياتنا ، من سياسية واجتماعية وأدبية وفنية ، وهى حاسمة ، فى نهايتها حياتنا أو فناؤنا ، وهى رهيبة أيضاً إذ نكاد نواجه فيها قوى العالم أجمع التى حاربتنا من الخارج فاعتدت على حرياتنا والتهمت استقلالنا وقطعت أوصالنا ، وثبتت لنا إسرائيل فى قلب وطننا العزيز . وحاربتنا أيضاً

من الداخل فى عقر دارنا وهى تنكل بأقطارنا ظلماً وعدواناً ، وتبث فينا سمومها بغرس الجهل وما يلحقه من فقر ومرض فى جوانب وطننا ، وذلك بتقليل المعرفة بالحد من انتشار الثقافة وتشجيع المدارس الحقيرة المسماة بالكتاتيب ، فى الماضى والحاضر فى كثير من أقطارنا ، وباستغلال البلاد وعدم العناية فيها بالصحة العامة .

ومن أحزاب كثيرة مختلفة المبادىء والغايات توجدها فى بلادنا للتناحر والتباغض وتمزيق كيان الوطن . ومن عادات تفسد حياتنا وتشوشها كالإباحية والتحلل الأخلاقى وغيره ، ومن مفاسد كلعب الميسر والمراهنة فى سباق الخيل ، ومن دعاية وقحة أوجدت فينا الروح الانهزامية التى جعلتنا نكفر بماضينا المجيد وقوانا الكامنة ، ومن ملاه فاجرة قتلت معنوياتنا ، فجعلتنا نتنكر لحشمتنا الشرقية وفضيلتنا العربية ، وأخيراً من معاهد أجنبية مختلفة الألوان والأشكال تضعف شعورنا القومى وتخنق لغتنا ، وتبلبل أفكارنا بنزعات مختلفة وآراء متباينة وميول تتصل بكل فكرة وقد تحتضن أية عقيدة أو مبدأ إلا عقيدة عروبتنا الأم ومبدأ التحرر من روح الغرب وعبادة الغرب وتقديس الغربيين .

ولقد حرص الغرب عدونا الهائل على أن يخلق منا أعداء لأنفسنا وأن يجعل من أعضاء كيان الوطن العربى آلات لتمزيقه ، فأوجد فينا

الأدواء الاجتماعية الكثيرة المختلفة التي ملكتنا ، فرحنا نعمل في قوميتنا تقطيعاً وفي قوانا هدماً ونحن جاهلون ما نفعل حتى هذا العهد الذي بدأ فجر النهضة الجديد فيه يلقى بنوره على هذه الأدواء فبدأت معركة الخلاص .

وستنتشر هذه المعركة التي سيخلدها تاريخنا انتشار الوعي العربي في الأفئدة والعقول ، وستقوى ويشتد أوارها ما قويت اليقظة العربية واشتعلت في الصدور .

وستظل طريقنا مخضبة بالدم والعرق والدموع ، وسيبقى الخلص الأوفياء من أبناء العروبة وحدهم في الميدان وأمامهم قوة المستعمر وقوة أذنابه في داخل الوطن وقوة آثاره في كل ناحية من نواحي حياتنا حتى في نفوسنا . . ، ولعمري إن هذا الأخير لأشد وأنكى .

فالعدو الداخلي هو الخطر الأكبر في سبيل النصر ، ولم يخطئ المستعمر غايته وهو يبث فينا الشقاق ببث الأحزاب الكثيرة المتباينة المتناحرة والثقافات المتعددة المتباعدة والأدواء الاجتماعية القوية المختلفة المكينة في حياتنا .

وما كانت هذه الأمراض لترى لولا مجهر الوعي العربي بالغاً ما بلغت هذه الرؤية . . . ولم تكن لتتضح وتبدو خطوطها بالغاً ما بلغ هذا الوضوح لولا فجر اليقظة الجديد الذي راح يلقى بنوره عليها فيشملها في أصولها ~~الخمسة~~ السبع وهي : ١ التحلل الديني ـ التبعية

للمدنية الغربية - الانهيار الأخلاقي — الروح الانهزامية — تعدد الثقافات — الجهل بصنويه المرض والفقر — التعليم الأجنبي بحد ذاته .

ولعل هذه الأصول الخمسة (الستة) بالرغم مما لكل منها من فروع كثيرة ، يمكن أن تكون هي نفسها فروعاً من بعضها أيضاً ، فهي متداخلة متفرعة ، متجانسة مختلفة ، متشابكة في بعضها ثم منفصلة . فمصائبنا القومية والاجتماعية أو القومية الاجتماعية لأن كل صفة من إحدى هاتين تعطي معنى الأخرى ، هذه المصائب متكاثفة متوالية آخذ بعضها برقاب البعض .

ولعلنا لا نستطيع الوصول إلى نتيجة إذا أردنا المقارنة بين هذه المصائب الكبرى وتحديد الأهون منها والأقل نتائج وبلاء علينا ، فكلها شديدة قاسية مرة .

وفروعها كثيرة وكثيرة جدا ، حتى لأرى القلم يعجز عن حصرها كلها وأنا أحاول تعديدها ، فهي صغيرة وكبيرة متغلغلة في كل ناحية من حياتنا ، وهي متشابكة متنوعة أيضاً يولد بعضها بعضاً وتتكاثف فوق بعضها لتعطي هذه الظلال السوداء في حياتنا ، وتتراكم لتكون هذا الكابوس على صدر الوطن العربي .

ومهما أطلت في وصف أدوائنا هذه فإنني لا أرى نفسي في تقصير ظاهر حيال مشاكلنا المعقدة ومآسي حياتنا الكثيرة كما سترون .

فالجهل وهو أقدم مصائبنا الاجتماعية إذ بدت آثاره منذ أن

بدت غيوم الانحطاط والتقهقر فى آفاق الوطن العربى الكبير بتفرق كلمة أهله وجشع الحاكمين منهم . ثم تمكن وتعزز بظهور الاستعمار فى بلادنا .

ولست الآن بمعرض السرد التاريخى لأصف ولادة هذه المصيبة فى وطننا وتطورها فى أدوار حياتها معنا . ولكننا ونحن نحاول معالجة حاضرنا المريض على نور الوعى الصحيح ، نبسط أدواءنا ، لنرى أن الجهل هو أبو الفقر والمرض والرجعية بكل ما فى هذه المآسى الثلاث من قسوة على النفس وثقل على الحياة .

والجهل هو الضلال فى مسالك الحياة .. وهو الحدود والسدود أمام القوة الإنسانية الكامنة . . وهو إغلاق المفاهيم أمام واقع الحياة .

هذه المعانى العنيفة للجهل التى لا تغيب عن ذهن أحد ولا يستطيع إنكار وجودها إنسان ، هذه المعانى بكل ثقلها وبكل شدتها ظلت رابضة على صدر الوطن العربى تلك الأحقاب من السنين حتى عصرنا هذا الذى بدأنا نتململ فيه تحت وطأتها ونسعى للخلاص منها .

وهذه المصائب بكل شرورها هى التى اجتهد المستعمر أن ينشرها فى بلادنا منذ أن كانت هذه البلاد أرضا خصبة لها ، فراح يحد من انتشار الثقافة والمعرفة بتقليل مصادرها وخاصة المعاهد كما قدمت ، وبتشجيع المدارس الحقيرة المسماة بالكتاتيب حتى هذا العهد الذى بدأت فيه معركة الخلاص ولم تنته شرور المستعمر ، وما زالت آثار تلك الشرور باقية . فما زال وطننا الكبير على العموم يعانى من وطأة

الجهل وخاصة تلك البلاد التى مازال المستعمر قابضاً عليها بيد من حديد يستعمل فيها أساليبه القديمة تلك فى حجب العلم والمعرفة عن أهلها ، حتى إنه فى قطر عربى له قيمته حيث الحاكم العربى فيه مسير بأمر مستشاره الإنجليزى ، ينفذ أوامره ويحقق رغباته ويتناول منه أيضا راتبه آخر الشهر .. هناك نرى المدارس لاتكفى إلا لأقل من ربع أبناء البلاد الذين فى سن التعليم مع العلم بمناهجها الاستعمارية الغريبة على العروبة ولغتها ، وأنها ضئيلة محدودة البرامج .

ولنسمع صوت أحد المجاهدين فى تلك البلاد يتحدث عن مأساة التعليم فيها فيقول : « إن تلك المدارس التى يقولون إن معارف الحكومه تديرها وترعاها ، ما هى ؟ وما هى قيمتها ؟ إن البيانات المتوافرة لدينا تثبت أن هذه المدارس لا تعدو أن تكون كتاتيب متطورة نوعا ما : فالأدوات جلها بالية ، والمدرسون والمديرون شبه أميين ، الحجرات ضيقة وقليلة ، والمناهج غريبة وبدائية ومتنافرة . والخلاصة فإن هذه المدارس ليست إلا مراكز لمكافحة الأمية فقط بين بعض الأطفال المرضى من سوء التغذية » .

وعندما يرتفع الصوت الجرىء مطالبا الحاكم بزيادة المدارس فى البلاد ، نرى ذلك الحاكم يميل على سيده المستشار ليهمس هذا له بجواب الرفض الجازم وإيقاف ذلك الصوت أو تلك الصحيفة الجريئة على سيادة المستعمر فتكبر مشكلة الجهل وتعم خسارة المعرفة بخسارة تلك الصحيفة أيضا وهكذا فيما يتعلق بكل

قضايا مصلحة البلد الأخرى وخاصة التى تعزز مصائب الجهل كالمرض ومايخص الصحة العامة مثلا فإن ذلك (المستشار) الإنجليزى (الموظف) لدى الحاكم العربى يأمر مخدومه بأن يخرس الصوت المتوثب الذى يطالب بتجفيف المستنقعات الكثيرة التى تغطى الأراضى المنخفضة القريبة من البحر فى ذلك البلد أكثر شهور السنة فتشكل خطرا على الصحة العامة .

يخرسها الحاكم بمنطق استعمارى بحت يوضحه ذلك المستشار بأن الحكومة لاتستطيع أن تفعل شيئا لايعطى النتيجة المادية للبلاد ، وتجفيف المستنقعات هو من هذا القبيل .

وكذلك نرى فى بلد عربى آخر أكبر من هذا وأكثر امتدادا فى الوطن العربى ، نراه بالرغم من وفرة عدد أهله ومن اتساعه نراه تحت سيطرة الاستعمار لايستطيع أن يعلم من أبنائه الذين فى سن التعليم إلا ثمانية عشر بالمئة فقط وذلك فى مدارس ابتدائية لم تبلغ من الرقى حدا مرضياً ، مع العلم بمناهجها الاستعمارية أيضا وأكثر من ذلك أن المستعمر فرض أن لاتقبل تلك المدارس التى تضم أبناء المستعمر الفرنسى فى قلب الوطن العربى لا تقبل عددا أكبر من ذلك العدد المخصص للعرب مما أدى إلى تشرد مليونى طفل بدون علم . هذا وتقل نسبة التعليم هذه كلما ارتفع مستوى المدارس حتى تصل إلى الجامعة فلا تقبل من أبناء العرب إلا ستين

طالباً فقط . ستون طالب جامعي فقط لعشرة ملايين عربي يعيشون في بلادهم . . .

هذا ماجعل عددا من المتنورين الفدائيين من أهل البلاد أن يكونوا جمعية تبذل الروح في سبيل مصلحة الأمة ويهبوا أخيرا في وجه المستعمر للعمل على تفادى هذا الخطر بالجد في بناء مايستطيعون من مدارس ابتدائية من تبرعات بلادهم وباقي البـلاد العربية وأن يوزعوا بعض شبابهم في معاهد الوطن العربي ، متحملين لأجل ذلك محاربة المستعمر لهم ومقاومته لمشاريعهم .

ولنسمع أحد زعمائهم المجاهدين يروى لنا في كلمات قصة جهاد ذلك القطر والتغلب على الجهل الذى فرضه عليهم المستعمر قال : صممت الجمعية على تشييد مدارس بمال الأمة لإنقاذ مليوني طفل من ظلمة الجهل . فتبارى أبناء الشعب في البذل وتنافسوا في بناء المدارس .

وقابلت الجمعية هذا الاتجاه بما يكمله من برامج وكتب ومدرسين فارتاع الاستعمار لهذه النهضة التعليمية الخطيرة ، وتربص بها اشتعال الحرب الأخيرة وقضى على معظمها بالتعطيل والاستيلاء على كثير من المدارس واستعمالها في المصانع الحربية ، واعتقل كثيراً من العلماء ورجال التعليم ، ونفى قادتهم إلى الصحراء .

وهكذا نرى الجهل بنتائجه الفقر والمرض والرجعية ما زال ضاغطا

على خناقنا ونحن فى بدء المعركة وأول الطريق ، ولعمرى إن هذا ليستحث خطانا ويستفز قوانا فى طريقنا الشاق الطويل .

ويأتى بعد هذا دور المصيبة الثانية فى كيان الأمة وهى تعدد الثقافات ، هذا الخطر فى المتعلمين الذى يشابه خطر الجهل والأمية فى مجموع هذا الوطن أو يقرب منه . فكما أن الجهل أداة لهدم النفس الإنسانية المتوثبة وبالتالى للوطن الذى يضمها . فهذا أيضا أداة لهدم هذا الوطن بزعزعة التفاهم بين أبنائه ، وتوزيع الآراء والمعتقدات فيهم وصبغهم بألوان مختلفة اختلاف ثقافاتهم ، وإضعاف الروح القومية عندهم .

ويكمن الخطر الأكبر لتعدد الثقافات ، فى المعاهد الأجنبية الكثيرة المنبثة فى أنحاء الوطن العربى الكبير ، أكثر منه فى مدارسنا الوطنية المختلفة المناهج والأساليب .

فتلك تحمل ألوانا مختلفة لدول الغرب تتعدد وتتباين فتمزق اتجاهات الطالب العربى ، وتعدد آراءه ورغباته بتعدد أساليبها وغاياتها وبالتالى تبتعد به عن المدرسة الوطنية المتعددة الأساليب والمناهج أيضاً .

وخطر تعدد الثقافات والتعليم الأجنبى بحد ذاته يكادان أن يكونا صنوين لا يفترقان . فهما متجانسان متداخلان ، يكمن الأول فى الثانى أكثر مما يبدو هو فى المدارس الوطنية التى رغم تعدد مناهجها غير

المحمود للنشء العربى الصاعد ، لا تبتعد بهذا النشء عن ساحة الوطن وصبغة الوطن ومصلحة الوطن .

والمدارس الأجنبية تحوى من سموم المستعمر ما لا تحويه المدارس الوطنية ، فتبثها فى الناشئ العربى بتعليمه لغتها كغاية لا واسطة وتطبعه بعاداتها وتفكيرها فتغرس فى نفسه حبها وربما عبادتها فى أحيان كثيرة . وبذلك تبتعد بالمواطن العربى عن وطنه وشعوره القومى وكرامته القومية فيعيش أجنبيا أو شبه أجنبى فى قلب الوطن العـربى .

وهـذه الصبغة الأجنبية مع تلك الألوان المتعددة للثقافات هى من أسباب هذه البلبلة فى المجتمع العربى وفى السياسة العربية . فلقد تباينت ألوان الحياة فى بلادنا تباينها نفسها واختلفت المفاهيم وتناحرت الآراء واصطرع الفكر العربى فى البلد الواحد واصطدمت الرغبات ولعبت الغايات . . . غايات الثقافات الأجنبية وتعدد هذه الثقافات .

ونتيجة لهذه البلبلة بات الفرد العربى قلقا حائراً . هو لا يعرف كيف يفكر وبماذا يؤمن وأى مذهب يعتنق وأية رغبة يرتضيها . . . أيأخذ بالقديم أم بالجديد ، أيطمئن إلى الشرق أم إلى الغرب ، أيؤمن بوطنه أم لا يؤمن ، أيعتنق العروبة أم لا يعتنقها ، أيثق بنفسه أم لا يثق ، أيعمل أم ليس ما يستحق العمل لأجله ، أيفكر أم يرتاح من التفكير أيأمل أم ييأس ؟ ! . . .

وهكذا تعيش القوى الكامنة فى المواطن العربى فى دوامة تتلاعب بها الأنواء . . . هذه الأنواء التى تناولت كل ما يرتكز عليه البناء الشامخ للأمة التى تريد الحياة ، تناولتها وعملت فيها تجاذبا وتشويها ، فأخذت الفكرة العربية الجامعة والدين الإسلامى والسجايا العربية من تراث الجدود وفكرة الدين من أساسه أحيانا ، كما تناولت الأخلاق الفاضلة وراحت تعتصر ماء الحياة منها ، حتى طفت على سطح هذا المجتمع أجسام كريهة تظهر ثم تختفى بشكل أحزاب ودعايات تناهض فكرة الوطن العربى الكبير ، وأخرى تجزىء الأمة العربية الواحدة راجعة بها إلى القوميات القديمة البالية ، وغيرها يناهض الدين الإسلامى ، والبعض يناهض الدين من أساسه لتضل النفس العربية فى بيداء الوحشة النفسية والقلق . وأخيراً بعضها يعادى الفضيلة والاحتشام والأخلاق السامية ، وهذا هو الانهيار الأخلاقى ، وبعضها الآخر يعادى الكرامة العربية والشعور العربى وكل تراث الجدود من السجايا العربية المجيدة ، وهذه هى الروح الانهزامية .

والروح الانهزامية كانت وما زالت تعيش فى نفوس الكثيرين من أبناء الوطن العربى كبارا وصغارا جهلة ومتعلمين إذ أنه داء سريع العدوى وقد وجد المكان الخصب فى حيرتنا النفسية الناشئة عن كثرة التيارات عندنا وتباينها واختلافها وآلامنا لاهزائم الحربية التى تحدث أحيانا فى أنحاء الوطن منها هزيمة فلسطين . ثم فى شعورنا بالنقص

هذا الذى خلقه الأجنبى فينا بواسطة التعليم فى مدارسه ؛ فسحق معنوياتنا وأشعرنا بحقارة فينا مدقعة ، وذلك بزهوه علينا ودعايات له عندنا منها الفارغ أكثر مما فيها الممتلىء .

هذه الأرض الخصبة فى نفوسنا جعلت الروح الانهزامية عندنا داء منتشراً وعقيدة مرضية نتنكر فيها لأمجادنا وقيمتنا كأمة وكرامتنا كشعب ولقوانا الكامنة ، فيقف تفكيرنا فى هذه الأشياء كلها عند بسمة ساخرة تسفه هذه القيم ، أو تململ ننتقل بعده إلى التفكير فى جو الغرب وحياة الغرب ننسى فيه أنفسنا الضئيلة ونتوارى عن ذاتنا المخجلة .

وقصرنا أيدينا عن مساعدة هذا الوطن والعمل لأجله ونحن منكمشون عنه نتطلع إلى الغرب فى حياتنا ، مبهورين فى لمعانه متنكرين لقيمنا غير مدركين مافى ذلك اللمعان من زيف كثير وما فى تلك القيم من جوهر كريم .

واتخذنا الأجنبى قدوة فى حياتنا نقلده حتى فى التفاهات .

ولا أدرى كيف استطاع ذلك الداء أن يعمينا عن أمجادنا التى ملأت التاريخ وعن قوانا التى بنت تلك الأمجاد وحلت بها صدر الزمن ؟ ! ولا أدرى كيف استطاع ذلك الداء أن يضعف عزيمتنا ويقتل إرادتنا للحياة الحرة الكريمة فى وطن حر كريم شاهق البنيان .

تلك الروح الانهزامية التى تتنكر للوطن العربى الكبير وتعادى الروح العربية المبدعة الخلاقة وتخالف عروبتنا الأم ؛ تلك الروح

هى مقبرة الرجولة والعزة والكرامة والنفس الإنسانية المتوثبة نحو النور . . .

وهذه الروح التي جعلتنا نهمل قوانا البناءة ونترك أنفسنا ونتخذ الغربى قدوة فى حياتنا نقلده ونفنى فى كيانه ، هى هدم لصرح وطننا العربى المترامى الأطراف .

ولكم جرت علينا تلك الروح من ويلات فهى هى التى جعلتنا نحارب فى فلسطين بدون ثقة بأنفسنا ، وهى هى التى جعلت زعماءنا فى ذلك الحين ينصاعون لأوامر الأجنبي واخيراً هى التى تخذل الفرد منا فى حياته العادية فيهمل وطنه ويسخر من قوميته ويقلد الأجنبي التقليد الأعمى ، كم جر علينا ذلك من مصائب كثيرة تراكمت فى حياتنا وتوالدت وكان لها اليد الطولى فى تأخرنا وانحطاطنا .

وإنى وأنا أردد كلمة التقليد الأعمى هـذه لا أطمئن إلى أنها ستحمل إلى الأذن كل معانيها التى تزخر بها حياتنا ، فتصوروا أن منا من يعتقد بتأخر حتى من لا يحي لياليه فى سهرات اللهو والعبث ويرميه بالرجعية والتأخر ، ومنا من يرمى بهذه الأوصاف حتى من يلبس من بضائعنا الوطنية ويقتنى مما هو من صنع الوطن ، ومنا من يصف أيضا بهذه الأوصاف حتى المرأة الفاضلة المحتشمة التى تأبى أن تستهتر بتصرفها ولباسها .

ولقد قلدنا الغربى حتى فى السخافات وحتى فى الفضائح فكان ذلك من الأسباب الوجيهة للانهيار الأخلاقى عندنا .

والانهيار الأخلاقى هو أوسع أدوائنا الاجتماعية انتشاراً . وفروع هذا الداء ونتائجه المتشعبة لا تقف عند حصر ، فمنه انبثقت الليالى الحمراء التى يقضيها شبابنا فى دور اللهو التى جلبها لنا الغرب وعادات الغرب ، هذه الليالى التى تسف بالكرامة الإنسانية وينسى فيها الشاب حاجات مجتمعه المريض ومآسى وطنه الكثيرة .

ومن الانهيار الاخلاقى انبثقت الإباحية عند المرأة أحيانا وعند الرجل فى الغالب ، فحطت من معنويات هذه وجعلتها جحيما فى بيت زوجها وأفسدت أخلاق ذاك وجعلته بلاء على المرأة الفاضلة وبلاء على الحياة الزوجية إذ تنكر لقيودها ولقدسيتها ، وبلاء أيضاً على فكرة الزواج نفسها إذ تنكر لها ولمسئوليتها ، ولم يشأ أن يعترف بها إلا بعد فوات الشباب إذ أن الإباحية هى من الأسباب الكبرى للعزوبة الطويلة الأمد عند الشباب وفى ذلك ما فيه من ضرر على الفرد وعلى المجتمع وبالتالى على الأمة .

وهكذا يمتد الانهيار الأخلاقى فى حياتنا فتشمل الإباحية حتى صحفنا التى عليها المعول الكبير فى بناء تفكيرنا فيصطبغ أكثرها بصبغتها الضارة التى تزيد الطين بلة بتوجيه تفكير النشء إلى النواحى الإباحية بالصور العارية أو شبه العارية والمواضيع الخليعة والمواد الهدامة التى

تمجد الإباحية وتسفه حياة الزواج وترفع العشيقة وتسخر من الزوجة والزواج ، فتسف بالمثل العليا فى حياتنا وتسمو بالمبادىء الهدامة .

لقد تهاوى ذلك النوع من صحفنا إلى درجة أنه اعتنق التفاهة فراح يطالعنا بأخبار الممثلات وتصرفاتهن الشخصية ، يملأ صفحاته بها ولم تتورع مرة صحيفة كبيرة الحجم عن أن تملأ صفحتين متقابلتين منها برسم ممثلة تكتب تحتها « الممثلة فلانة يهدد حياتها البرود الجنسى » . ولعمرى ماذا يهم القارىء العربى من حياة تلك الممثلة الجنسية أو غير الجنسية وهو يرزح تحت كابوس أمراضه الاجتماعية ومآسى وطنه الكثيرة .

وآمنت تلك الفئة بالهدم فراحت تعزز العشيقة وترفع الغانية وتحمل على الزوجة وتصورها أبدا رافعة المكنسة على زوجها وغولا كل همه ابتلاع مال الزوج . ثم أمعنت فى هذا الهدم وهى تسفه فكرة الزواج وتسخر منها فى سيل من النكات اللاذعة لا يصل إلى قسوتها تسفيههم لدولة إسرائيل وللعدو الصهيونى فتقول وتتمثل بطريقة الحكم : « عجبت لمن يتزوج ويموت كيف يموت مرتين » ، وتقول أيضا : « إن من يتزوج بعد موت زوجته الأولى لا يستحق موت تلك الزوجة » . ثم تذهب فى تمجيد العشيقة فتروى أنه كان رجل فى ملهى يتوالى على مسرحه عدد من الراقصات العاريات الجميلات ، كان كلما ظهرت على المسرح واحدة منهن يبصق على الأرض ولما

سأله صديقه الجالس إلى جانبه لماذا تبصق بينما الراقصات من أجمل نساء العالم، أجاب : إننى أبصق على زوجتى .

إلى هنا وصل بنا الانهيار الأخلاقى وإلى هنا اتجهت بنا صحافتنا الماجنة . وأظن وقد تعمقت فى هذا الموضوع الأخلاقى قد خرجت عن لون الفتاة الشرقية فى نظركم التى يجب أن لا تكون صريحة فى هذا المجال كما اصطلحنا والتى يجب أن تظل ضمن سدودها وحدودها عمياء أو متعامية عما يقع حولها من مصائب لإرضاء تقاليد الجهل والرجعية التى ما زلنا نحترمها .

ولكننى سأمزق هذا الحجاب من التقاليد البالية لأطل على واقعنا الحقيقى وأمد يدى إلى هذا الواقع أمسح ما أستطيع من دمه أو دموعه . سأمزق هذا الحجاب وأنا أعرض لأخى المواطن أدواء هذا الوطن وأظهرها واضحة غير مغشاة وصادقة غير معماة .

لنتصارح أيها الأخ العربى ونحن نستعرض أمراضنا الكثيرة المتشعبة التى لا يصل قلم إلى حصرها ، لنتصارح ونتفاهم ونتفق على أن نصف لشفائها العقيدة الواحدة والمبدأ الفرد تحت جناح اليقظة العربية التى تستطيع أن تتغلغل فى أعماق الفرد العربى وتتملك نفسه وتغمر أحاسيسه فيشمر بإرادته تحطم الحواجز والحدود وتنطلق فى طريق الإصلاح والبناء . لنصف الوعى العربى الذى يطغى على مشاعر المواطن فينير أمامه السبيل إلى التغلب على المصاعب والمشاق .

وإن الإيمان بالقومية العربية الكبرى هو ذلك المبدأ الفرد الذى سيستحث خطانا إذا ما اعتنقناه وتعلقنا به وعملنا لأجله وتفانينا فى هذا العمل ، وإن الوطن العربى الواحد هو الغاية التى ستصل إليها نفوسنا متجاوزة كل ما يقف فى طريقها من عقبات إذا عاش هذا الوطن فى أرواحنا وقام فى أعماقنا وانطوت عليه جوانحنا واحتضنته كل أحاسيسنا .

إن هدف العروبة والوطن العربى الكبير هو الذى سيحيى نفوسنا التى حطمها المستعمر ويذكرنا بأمجادنا العربية التى ستعيد إلينا قوانا وتبنى شخصيتنا فنفرضها على العدم الذى نحن فيه .

وإن هذا الهدف إذا وضعناه أمام أعيننا ، هو الذى سيشعرنا بقيمتنا كأمة لها ماض مجيد وعدد كبير ورقعة فسيحة فنحس بالاعتزاز بأنفسنا فنرفع رءوسنا وتنطلق قوانا الكامنة تذلل طريق الخلاص .

فإلى يقظة عربية ووعى جديد نطبع به نفوسنا فى كل أنحاء وطننا الكبير ، ونفعم به مشاعرنا ونبثه ناشئتنا بل ونغذى به أطفالنا مع اللبن .

إلى ثورة من الوعى العربى الجديد تشمل كل فرد فى عددنا الكبير وكل نفس فى وطننا المترامى الأطراف . تنفجر من أعماقنا وتتدفق من بين ضلوعنا فتعصف بحاضرنا المظلم وأدواء حياتنا القتالة .
نحو وحدة الوطن العربى الكبير أيها الإخوة العرب ، وإلى البعث

العربى المرتجى وإلى القوة العربية الكامنة وإلى النفس العربية التى تأبى العيش فى الظلام وفى العالم السحيق .

إن الهدف الواحد الفرد هو الذى سيلم شعثنا ، وإن الإيمان بهذا الهدف هو الذى سيشحذ عزمنا ، والعمل لأجله هو الذى سيجند قوانا ، والتفانى فى هذا العمل هو الذى سيصل بنا إلى النصر .

وعقيدة العروبة التى تعيش فى نفوس الخلص من أبنائها وتملك شعورهم فى كل أنحاء الوطن العربى الكبير ، والتى بدأ هؤلاء الأبناء يعملون لسيادتها بالرغم مما يطفو على سطح حياتها من جثث معادية لها ، تحاول قاصرة عاجزة تعكير هذه الحياة ، عقيدة العروبة هذه ، هى ذلك الهدف الواحد الفرد ، ووحدة الوطن العربى الكبير هى الغاية التى ستصل بنا إلى الانتصار .

إلى ثورة من اليقظة العربية ، من الشعور العربى ، من الوعى ، كبيرة قوية شاملة ، تنطلق من أعماق قلوبنا فتجرف الغربى المتغلغل فى نفوسنا وفى نواحى حياتنا وتطهر الوطن من أذنابه وأوشابه .

لنجند قوانا لهذه الثورة ، ولنهب لها قلوبنا ومشاعرنا وتفكيرنا ، ولنكرس لها جهودنا وأوقاتنا التى نبذلها الآن فى السخافات البعيدة كل البعد عن مآسى واقعنا .

فإلى متى ننتظر صامتين لاهين والعدو متربص بنا يبثنا سمومه ويبغى هلاكنا خوفاً من أن يعود المجد العربى فيبسط نوره على العالم ؟!

وإلى متى ستظل قوانا موزعة مشتتة مبعثرة نشغلها بتوافه الأمور ؟ وحتى أقلامنا التى هى قوى الأمة الفعالة نراها على العموم تجول فى ميدان بعيد عن ميدان قوميتنا العربية ووحدتنا الكبرى التى فيها خلاصنا ، نراها تعمل فى الهزل أكثر من الجد وتجول فى مجادلات بيزنطية وفلسفات لا تمس حاضرنا ومستقبلنا من قريب أو من بعيد . . .

وحتى شعراؤنا وفنانونا الذين هم قلب الأمة النابض ، نراهم منهمكين فى وصف القدود والنحور أوراقصين مع الرومبا والسامبا أو صائحين نائحين على الحبيب القاسى الهاجر الكذاب أو غير الكذاب . . .

ولله در تلك الأصوات الجريئة النادرة التى ترتفع أحيانا فى أنحاء الوطن العربى لتوجيه قوانا الفكرية إلى انعاش القومية العربية فى النفوس وتمجيد الوحدة العربية الكبرى ؛ ولله در أديبنا النابغة فكرى أباظة رئيس تحرير المصور المصرية الذى هتف يصيح فى هذه المجلة « هل مات الشعر المصرى القومى الوطنى العربى الحماسى الفوار ؟ . . هل نرثيه ونبكيه ونضيفه إلى مصلحة الآثار ؟ . . هل نقنع فى وثبتنا ونهضتنا وثورتنا أو فى أحداثنا وآلامنا ومآسينا الحاضرة بالشعر القصصى أو الشعر الغرامى الذى يلحن ويغنى مطعماً بالآهات والتأوهات والحسرات والهجر والوصل والصد ولقاء الحبيب ؟ . . »

وهكذا توارى الأدب والأدباء عن واجبهم نحو أمتهم فى وقت حاجتها إليهم ، وتجاهل الأدب قيمته فى حياة أمته وهو الكاشف الحافظ للقيم الثابتة فى الإنسان والأمة كما يصفه مفكرنا الكبير توفيق الحكيم ، وهو الحامل الناقل لمفاتيح الوعى فى شخصية الأمة والإنسان ، تلك الشخصية التى تتصل فيها حلقات الماضى والحاضر والمستقبل كما يقرر عبقرينا هذا فى كتابه القيم «فن الأدب» .

فإلى متى نجهل أو نتجاهل مصلحتنا الكبرى فى إثارة شعورنا القومى وبثه فى صغارنا قويا جارفاً تبرز معه الشخصية العربية الخالصة من دعايات الغرب ضدنا ومن أوشاب انحطاطنا الماضى ومن سموم المستعمرين ومن أباطيل المستشرقين أداة الهدم فى بلادنا ، فنعتز بهذه الشخصية ونفخر ونرفع رؤوسنا لنتحدى العالم .

وماذا ينقصنا لإظهار شخصيتنا العربيـة الكاملة وعندنا كل مقوماتها من سجايانا العربية الأصيلة ومن أمجادنا الخالدة ؟ . . ماذا ينقصنا لإبراز هذه الشخصية التى لمعت فى سماء العالم عندما كنا نعرفها ونؤمن بها ونعتز . ماذا ينقصنا غير هذا الإيمان بحقيقة أنفسنا والإيمان بحقيقة واقعنا . ماذا غـير اليقظة العربية الحقة والشعور القومى الجارف يصقل هذه الشخصية ويجلوها من صدأ الاهمال .

لقد باهى الانـكليزى بشخصيته وافتخر واعتز ، وليس عندهم مافى الشخصية العربية من مقومات لجعل وعدة الصادق الأكيد

منسوبا إلى هذه الشخصية . فهو عندما يقول : (English Promise) أي « وعد انكليزي » فمعنى ذلك أنه سيفي بالوعد الذي أعطاه حتما مهما كلفه الأمر ، كما نعبر نحن بـ « كلمة شرف » أو « وعد شرف » فسمي بذلك بشخصيته ونزهها وشرفها كما لم نسم نحن بشخصيتنا القومية التي تفوق شخصيته غنى وقوة .

فإلى متى سنظل في هذه الروح الانهزامية التي تخفي شخصيتنا المتوثبة تخفها بشعور النقص والإيمان بالأجنبي فنصدق ونؤمن بما يروى عن « المسيو » و « المستر » ولا نؤمن بما يروى عن رجالنا الخالدين ، ونروى عن أي غربي ونتمثل به ولا نروى عن أسلافنا وكبارنا الذين أخذ عنهم هؤلاء الغربيون أكثر علومهم وفنونهم ونتمثل بهم .

أي دافع لنا إلى هذا ، وأي سبب هو الذي يجعلنا ننكر أنفسنا بهذا الشكل ونطأطئ للانهزامية الجانية وليدة سموم المستعمر في بلادنا ؟ . . وإلى متى نحن صامتون وقد عرفنا هذا الداء فينا وكشف لنا فجر الوعي الجديد كل أمراضنا ومآسينا وعرفنا أن الغربي هو السبب كما عرفنا أن ثورة جارفة من الشعور القومي العربي هي الدواء ولا شيء غير الثورة الجارفة من الشعور القومي العربي .

فلتكن إذن هذه الثورة ، ولتندفع محطمة الأغلال والسدود ،

ولتنطلق الشخصية العربية من عقالها فتحلق فى سماء الحياة كما قد طالما حلقت من قبل .

لتكن تلك الثورة ولتنبثق من أقلامنا التى يجب أن تجند لها ولتنتشر من فنوننا التى يجب أن تكرس لأجلها ؛ فتنطلق قوية جارفة تتفجر فى كل نفس عربية فى وطننا الكبير ، وتتدفق من كل روح مؤمنة وفية لعروبتها فنفعم بها مشاعرنا ونغذى بها أطفالنا مع اللبن ، فنمحو أمراضنا بهذه القوة ، ونواجه العالم بكلمتنا الواحدة ، ونمشى صفاً واحداً إلى حيث ينتظرنا المستقبل المرتجى ، وأنوار البعث الجديد .

في طريق المجد ...

« تحية عربية إلى المغرب المجاهد »

في طريق المجد

تلفزي

تحية عربية مباركة أيها المغرب العربي، وبوركت في جهادك يا بلد العز التليد وموطن الأبطال يا مغربنا الحبيب . . .

بوركت في يومك هـذا وأنت تسطر آيات الحق والحرية في صفحات الخلود بأحرف من نور ، ثم تخط بدماء أبنائك الزكية درساً للعالم في إعزاز الحق ، والثورة على الظلم ، والغضب للكرامة .

ولقد انطوت في جهادك هذا مدة حمراء غابت في ضمير الزمن لتشرق في تاريخ أمتنا نوراً يخلد أرواح أبطالنا الأشاوس الشهداء الذين يفتدون الحرية بدمائهم الزكية ويحيون العدالة بأرواحهم الطاهرة ، هذه العدالة المحتضرة في عالم الغرب اليوم . . .

انطوت هـذه المدة الحمراء القانية بجهادك أيها المغرب العربي تحمل في ثناياها أنين المتألمين وزفرات المعذبين ونحيب المصابين والثكالى ؛ ضحايا الهمجية الفرنسية الباغية في القرن العشرين . نعم توارت هذه الأيام مخضبة بدماء مواطنينا أبطالك يا مغربنا العربي ، عابقة بأرواحهم الطاهرة ، موارة بتضحياتهم الجليلة ، مفعمة بسموهم وهم يضيفون صفحات جديدة إلى المجـد العربي العريق ويسطرون بدمائهم الزكية قصة الغرب المستعمر ، قصة الحرية المفقودة في القرن العشرين . . .

لقد ظلمت أيها المغرب العربي فأبت سماؤك المشرقة بنور تاريخك

الرائع هذا الظلم ، وكرهت أرضك المعتزة برفات أبطالك الصبر على الضيم . وزلزلت جبالك الشوامخ غضباً للكرامة ، وثارت نحو أبطالك الرابضة فى قلب الأبدية تزأر للحق وترعد بغضبتها المدمرة .

وهببت أيها المغرب العربى ثائرا على الطغيان ، هببت لتنتزع حقك المسلوب من براثن الفرنسى المغتصب ، هذا الباغى ، ابن القرن العشرين ، وربيب الغرب الذى يدعى التمدن والرقى . . .

ثرت وأنت الذى أضعفك الظالم فصيرك فقيراً حياله إلا من عزيمتك وإبائك ، ضعيفاً إلا فى عقيدتك وعزة نفسك . نعم ثرت يا مغربنا العربى لتصفع هـذا العدو الغاصب صفعة العدل المهان ، صفعة الحق الغاضب ، صفعة العربى الثائر لكرامته . . .

أجل لقد قاومت الظلم والاستبداد فعلمت هـذا الغربى معنى المدنية والرقى ، ونشدت حريتك حمراء مخضبة بدماء أبطالك الزكية فألقيت على هذا المستعمر درساً فى الحرية والحياة .

ولقد علمك جهادك الصامت أيها المغرب الثائر فى تسامحك الطويل مع هذا العدو الغربى ، علمك أن التسامح لغة غير مفهومة عنده وفضل ليس له ثمن ، وأن أسلوب الحجة والمنطق شىء لا يفقهه ولا يعرف معناه ، فكان كل هذا درساً لك من الفرنسى بأن لا تستعمل معه إلا لغة القوة ، وكان أيضا برهاناً لك على أن ابناء الفرنسيس أولئك ، لا يفهمون إلا شريعة الغابات هذه .

إذن فعلى رسلك أيها العدو الباغى ، فإن الذين ينازلونك هم أكفاء لك فى هذا الموقف ، إنهم أسياد الوغى وأبطال ميادينه . . نعم إن أمامك الدم العربى الحار يغلى فى غضبة الكرامة المهانة ، وأمامك النخوة العربية ثائرة على الظلم والاستبداد ، وأمامك الحق أيها العدو . . نعم الحق بكل قوته . . وبكل أنصاره . . وبكل معانيه . . .

وإلى الخلود أرواح أبطالنا الشهداء فى المغرب العربى الحبيب ، وإلى الأمام أيها المواطنون المجاهدون فى تلك البقعة العزيزة من وطننا الكبير . أيها العرب الثائرون على البغى ، الساخطون على الظلم والاستعمار ، إلى الأمام لتعلموا الفرنسى « المتمدن » معنى المدنية ولتلقنوا الغرب « الراقى » درساً فى الحرية والحياة . . .

إلى الأمام أيها المواطنون الثائرون ، سيروا فى طريق المجد ، امضوا فى جهادكم ، وانكم لستم وحدكم فى الميدان ، فلقد مشيتم إلى معركة التحرير هذه ومشى الحق والشرف فى ركابكم ، وتبعتكم أفئدة اخوانكم العرب فى كل ناحية من الوطن الكبير ، وحفت بكم تمنياتهم الطيبة ودموعهم . . . نعم ، دموع الفرح بالساعة الحاسمة ، والمعركة الفاصلة بين الحق والباطل . . . بين عهد سيء يخبو . . . وعهد يشرق من جديد . . .

المرأة العربية في فجر نهضتها

محاضرة « ألقيت مختصرة فى إذاعة مصر ومطولة فى نادى رابطة موظفى الحكومة المصرية »

المرأة العربية في فجر نهضتها

تلاقى المرأة العربيـة مشاق ومصاعب جمة فى طريق نهضتها التى تسعى إليها بخطوات متفاوتة فى أنحاء الوطن العربى الـكبير ، تتسع أو تضيق تبعاً لدرجات الحالة الاجتماعية فى أى بلد من البلدان العربية وتبعاً لتأثير الرجعية فيه ومقدار سيطرتها عليه .

ولعل المرأة اللبنانية التى سنستهل بها حديثنا فى تسجيل حركات المرأة العربية وهى فى فجر نهضتها هذه ، لعلها أوفر حظا فى طريق نهضتها وأعرق قدما من أخواتها العربيات ، خاصة بالنسبة للبقعة الصغيرة التى تعيش فيها ، فهى تخطو خطوات واسعة فى مدارج الرقى ، آخذة بالنهضة من كل أطرافها ، مندفعة بنشاطها الغريزى وتوثبها نحو النور .

فهى بعد أن تخلصت من كثير من التقاليد الرجعية التى كانت تسربلها ونالت قسطها الوافر من العلم فى بلدها والخارج ، انطلقت تعمل فى ميادين الحياة فنشطت فى الثقافة والسياسة والاجتماع .

ويكاد يكون ميدان الثقافة أخصب الميادين عند المرأة اللبنانية فقد نشطت فيه إلى أبعد حد فألفت الـكتب وملأت بحور الصحف وأنشأت المجلات فلمعت مواهبها وجال قلمها جولات موفقة فى معالجة كثير من مشاكلنا فتألقت أسماء كثيرة فى هذا الميدان حتى صارت فخر لبنان كالمرحومة السيدة سلمى صائغ ؛ صاحبة الأسلوب العاطفى

الرقيق التي فقدها الأدب منذ عامين ، والسيدة مادلين أرقش صاحبة المؤلفات ، والآنسة روز غريب ، والآنسة أنعام الصغير ، ومدام شيبوب ، والسيدة ايفلين بسترس الكاتبة البارزة باللغتين العربية والفرنسية . ومن الناشئات الموهوبات السيدة صوفي أرقش المتني والآنسة ليلى البعلبكي والآنسة بلقيس الحوماني وغيرهن كثيرات .

هذا في ميدان الأدب النثري ولكن نشاط المرأة اللبنانية لم يقف عند هذا النوع من الأدب بل تعداه إلى فردوس الشعر فأرتنا السيدة زهرة الحر والسيدة فاطمة رضا كثيراً من روائعه .

وإذا تحدثنا عن الصحافة في هذا الميدان وجدنا المرأة اللبنانية قد نشطت فيها وأتت بجهود الجبابرة . فبرزت فيه خلال نصف القرن الأخير مجلة «مينيرفا» لصاحبتها السيدة ماري يني « والحياة الجديدة » للسيدة جبوبة جداد الكاتبة المعروفة « والمرأة الجديدة » للسيدة جوليا طعمه دمشقية « والخدر » للآنسة عفيفة صعب « ومولد الأحداث » للسيدة أمينة الخوري هذه المجلات التي عاشت لتأخذ بيد المرأة إلى مدارج الحياة الحرة الواعية . ولا يزال باقياً منها مجلة صوت المرأة تجاهد في هذا السبيل حرة مخلصة ثابتة .

ولم يقف نشاط المرأة الثقافي عند هذا الحد بل راحت تنشىء المدارس أيضاً تخلق غاليا اسم السيدة ماري كساب صاحبة كلية

البنات الأهلية ومنشئتها في بيروت ، وكذلك اسم السيدة نجلا ثابت صاحبة مدرسة « زهرة الفتاة » والسيدة أنيسة ثابت المعروفة بأم رياض صاحبة « معهد التفوق » في بلدة العبيدية وغيرهن ممن دللن على وعي المرأة اللبنانية الحديثة وتوثبها نحو النور .

وفي الميدان الاجتماعي أيضا خطت المرأة اللبنانية خطوات واسعة فأنشأت المعاهد الخيرية والثقافية وجمعيات البر والإحسان فكست العريان وأطعمت الجائع وعلمت الفقير واحتضنت اليتيم وأمدت اللاجئ الفلسطيني خاصة خدمات مشكورة ، تجلى بعضها في المعهد الفني الخيري الذي أنشأته السيدة نازك بيهم في بيروت لليتيمات من بنات فلسطين .

واهتمت اللبنانية أيضا بالثقافة الفنية للجيل ، فأنشأت جمعيتا الشابات المسيحيات والشابات المسلمات المعهدين المعروفين باسميهما لتثقيف الفتاة الثقافة الفنية الكاملة . فعلماها فن الخياطة والتطريز والموسيقى واللغات الحية والرسم والتمريض وتدبير المنزل والكتابة على الآلة الكاتبة وفن صنع الحلويات . هذه الفنون التي تكمل الفتاة وتجعلها سيدة بيت وسيدة مجتمع .

وإذا تتبعنا نشاط المرأة اللبنانية في الميدان الاجتماعي نصل إلى جهادها الجماعي الفذ الذي حاربت به الجهل والرجعية ووصلت إلى كثير من حقوقها في الحياة .

ففي الجمعيات الناجحة التي ألفتها المرأة اللبنانية برز نشاطها وذكاؤها وتوثبها ؛ فانطلقت تعمل بعزم وثبات حتى ساهمت في انهاض المجتمع اللبناني بنصيب كبير . فبرهنت بذلك على وجودها وجدارتها بالحياة .

ثم شعرت بعد ذلك بضرورة زيادة التكتل والتكاتف وتوحيد الصفوف فضمت هذه الجمعيات المختلفة إلى بعضها في هيئة اتحادية .

ولبنان هو أول بلد عربي ألف هيئة اتحادية كهذه .

وفي هذا الميدان يبرز اسم الآنسة ابتهاج قدوره ، المجاهدة الأولى في لبنان ورئيسة الاتحاد النسائي العربي العام فيحلق هذا الاسم عالياً ويفخر به لبنان .

وليس من الممكن لمن يعرف جهود هذه المرأة في الميدان النسوي أن ينكر فضلها في انهاض المرأة اللبنانية والسمو بها ، ولا أن ينسى رسالتها المشهورة سنة ١٩٣٦ لرئيس جمهورية لبنان تطالب فيها كثيراً من حقوق المرأة فكانت هذه الرسالة الخطوة الأولى نحو حق المرأة في الانتخاب الذي أعطى لها بعد ذلك .

وأما في السياسة وأعتقد أننا لن نستطيع أن نتحدث كثيراً عن اللبنانية في هذا الميدان لحداثة عهدها بنيل حقوقها فيه ، ولكن نستطيع أن نقول ، إن لها استعداداً كبيراً للنجاح في هذه الناحية أيضاً . فقد تجلت ثقافتها التي ستعينها على هذا النجاح في غزوها

للمدارس والجامعات داخل البلاد وخارجها ، كما تجلى وعيها السياسى فى ما تملأ به عجور الصحف من آراء واقتراحات سياسية واجتماعية ، ثم بمظاهراتها الحماسية الرائعة التى كانت تعبر بها عن آرائها السياسية .

وقد ضربت المرأة اللبنانية مثلا قيما على جرأتها فى اقتحام المناصب بفوز الآنسة ابتهاج قدوره ، مع اثنتين من السيدات المثقفات ، بمقاعد فى مصلحة البلدية ، هذا كما أن اللبنانية قد خاضت أول معركة انتخابية بنشاط ووعى وإخلاص بعد أن أعطيت هـذا الحق منذ وقت ليس بالبعيد .

ولعل من باب الطرافة أن نلقى نظرة عامة على المرأة اللبنانية قبل أن نفارقها الى غيرها لنصورها ونصف حياتها الخاصة فى نهضتها النسبية التى سبقت فيها أخواتها العربيات خصوصا بالنسبة لبلدها الصغير الذى تعيش فيه .

فإن أبرز مايبدو فى المرأة اللبنانية أناقتها وحيويتها وتوثبها نحو النور . ولعل تلك الصفات هى ظلال وطنها الجميل بما فيه من روعة وإشراق وحياة .

وكما تتجلى هذه الصفات الثلاث فى كيانها كذلك تراها بارزة فى كل ناحية من نواحى حياتها . فهى فنانة بطبعها ، لا تبدو إلا أنيقة نظيفة أينما كانت ، فى المدينة أو القرية ، ومن أية طبقة ، الرئيسات أو المرءوسات ، وإن تفاوتت هذه الإناقة .

وترى ذلك باديا فى بيتها المرتب الأنيق حتى فى القرية بقطع النظر عن التفاوت النسبى . فإنك لا ترى فرقاً شاسعا بين بيت اللبنانية فى المدينة وبيتها فى القرية من حيث النظافة والترتيب . فكلاهما نظيف وكلاهما منسق مرتب وكلاهما ، إلا النادر ، حوى الأثاث العصرى الجميل وإن تفاوتت أثمان هذا الأثاث .

وكذلك هى ما تنفك فى تقدم مستمر أينما كانت فى المدينة أو فى الريف . إنها تتمدن وما تنفك تطلب المزيد من المدينة وترتقى وتتثقف ، وما تنفك تطلب المزيد من ذلك . إنها تغزو المعاهد فى كل زاوية من بلدها الصغير وتملأ الجامعات وتهاجر لتستقى الفنون والعلوم العالية فى أوروبا وأميركا . إنها أبداً فى ثورة على الجمود ، فى ثورة على الجهل والرجعية .

ولقد هاجرت اللبنانية لا لتتعلم فقط بل لتعلم أيضاً فى البلاد المحتاجة إليها من وطنها العربى المترامى الأطراف وخاصة فى البحرين والعراق والكويت . إنها فى حركة دائمة ونشاط مستمر . هى تعلم وتتعلم حتى انك قلما تجد فتاة فى القرية أو المدينة لا تعرف لغة أجنبية إلى جانب لغتها العربية . وحتى انك تكاد أن لا ترى فتاة أمية فاتها ركب العلم فى عثرة من عثرات الحياة . . .

هذه هى المرأة اللبنانية بصفة عامة . ولعل أروع ما فيها على العموم ضآلة نسبة الاختلاف بينها فى المدينة وبينها فى القرية .

فكلتا الاثنتين تكادان تكونان واحدة في الرقي والمدنية والمظهر الأنيق . . .

أما المرأة السورية وأبرز ما فيها جمالها الطبيعي المظهر في الغالب الذي لا تحوطه على العموم تلك الهالة من الفن الرائع الذي تضفيه اللبنانية على مظهرها . هذه المرأة لعلها ، وهي في فجر نهضتها هذه ، التي سنعرضها وسنحصى خيوطها النورية التي تمتد جاهدة لتبدد مالا يزال في الأفق من ظلمه ، بيناها في غير هذا المكان من الكتاب . أقول لعلها لا تقل كثيرا عن أختها اللبنانية التي تفوقها تحررا واندفاع في طلب العلم . وذلك بسبب الحجاب وبعض التقاليد التي ما زالت في أحيان كثيرة حائلا بينها وبين العلم العالي وتمنعها في الغالب من الدخول إلى الحياة العاملة في مجالي الخدمة الاجتماعية .

ولكن بالرغم من ذلك فإن تقدمها في فجر نهضتها هذه لتشكر عليه وتقدر لأجله ، فقد أنشأت المؤسسات العلمية والأدبية والاجتماعية .

ففي دمشق معهد دوحة الأدب الذي أسسته السيدة عادله بيهم يعلم الفتاة كل ما تحتاجه من علم وفن ، كما أسست خريجات دار المعلمات جمعية سميت باسمهن ورأستهن السيدة منيرة المحايري ثم أنشأن مبرة يقمن عليه ويغذينه بأموالهن ، وبما تجود به أكف المحسنين .

وهناك أيضا جمعية يقظة المرأة الشامية التي أسست مشاريع

اجتماعية جمة لتثقيف الفتاة وجعلها مواطنة صالحة تنتفع بها الأمة فى مستقبلها الزاهر .

ومن أبرز الشخصيات النسائية العاملة فى المجتمع السورى السيدة عادله بيهم رئيسة جمعية الاتحاد النسائى العربى السورى والسيدة سعاد مردم بك والسيدة مقبوله الشلق العاملة النشيطة فى المجتمع السورى وأول سيدة حازت على إجازة الحقوق فى سوريا .

هذا كما أنه برز فى المجتمع السورى أيضا أديبات نابهات أخذن مراكزهن فى سماء الأدب العربى ، وأولهن السيدة سلمى الحفار الأديبة النابغة التى يحق لسوريا أن تفخر بها وهى صاحبة الكتابين المشهورين « يوميات هالة » « وحرمان » وغيرها . وكذلك السيدة وداد سكاكينى صاحبة القلم السيال والمؤلفات المشهورة والآنسة فلك ترزى الأديبة الذائعة الصيت ، والآنسة نعيمة المغربى العاملة الاجتماعية وسكرتيرة الاتحاد النسائى العربى السورى والتى جال قلمها فى القضايا الاجتماعية جولات موفقة . هذا كما أنه كان قد لمع فى سماء سوريا فى الجيل الماضى أديبات على رأسهن العبقرية مارى عجمى صاحبة مجلة « العروس المحتجبة » .

وبالرغم من القيود التقليدية التى ما زالت تعرقل سير المرأة السورية فى الحياة الراقية ، فإنها تستطيع أن تساهم فى الثقافة الاجتماعية . فهى تلقى المحاضرات ، وتؤلف الكتب وكما بينت

أيضاً أن لها قدرة على إنشاء الصحف فظهر مجلتان نسائيتان فى ربع القرن الأخير وهما « العروس » لصاحبتها مارى عجمى « والمرأة » لصاحبتها السيدة نديم المنقارى ثم أحتجبتا لأسباب غامضة .

والمرأة السورية تتعلم فى الخارج فضلا عن بلدها ، وقد صار منها من هى مفخرة للوطن ، وقد أعطيت الحق أن تنتخب فقط . ولعل أروع ما فى المرأة السورية شعورها القومى الدافق إذ ساهمت فى ثورة ٢٩ أيار بنصيب كبير فى حث الشباب على الثورة ضد العدو الفرنسى وتموين الثوار وعائلاتهم بالغذاء تحت وابل الرصاص والقنابل .

وإذا ما انتقلنا الى المرأة العراقية التى تمتاز عن شقيقاتها العربيات بجمال روحها وسمرتها الهادئة واندفاعها ، لنلقى عليها نظرتنا وهى فى فجر نهضتها نجدها أيضاً جادة في طريق هذه النهضة ، ولا تقل عن شقيقتها السورية فيها .

ويكاد يكون وضع المرأة العراقيـة ومساعيها فى طريق النهضة حلقة متكررة لوضعها فى أى بلد عربى آخر يشابهه بالرقى أو يقرب منه إلا فى بعض الميزات الطفيفة كامتياز المرأة العراقية على بقية نساء العرب بسرعة وثوبها أى سرعة تحقيقها لأهدافها وطموحها البالغ بدافع دمها الحار وأعصابها المرهفة تحت تأثير طبيعة بلادها الخاصة ، وقد بدأت النهضة النسائية فى العراق منـذ تتويج الملك فيصل

الأولى . إذ بدأت مدارس البنات تنتشر في العراق ، ثم أسست دار المعلمات الابتدائية في بغداد وأخذت هذه الدار تقبل من جميع ألوية العراق فتيات ليكن معلمات يدرسن في مدنهن وقراهن ، ثم فتحت المدارس الثانوية للبنات واستلزم ذلك التعليم العالي تأمين وجود المعلمات لهذه المدارس . وهنا أصبح الصراع ظاهراً بين السفور والاختلاط من جهة ، وبين الحجاب من جهة أخرى .

وبدأت الفتاة العراقية تدخل دار المعلمين العالية إلى جانب الفراق فبرزت فيها بروزا ظاهرا ، وكذلك دخلت كلية الحقوق والطب والصيدلة ثم أفردت لها كلية تسمى معهد الملكة عاليه ، وهو معهد يمنح الليسانس في جميع الفروع والفنون ، وفتحت أيضاً مدارس خاصة لتعليم الفتاة . التدبير المنزلي ثم فتحت مدارس ابتدائية جمعت بين الفتى والفتاة فأصبح التعليم مختلطا في المدارس الابتدائية وانفرد في الثانوية واجتمع في العالي . وبذلك ظهرت الفتاة العراقية إلى المجتمع مدرسة وطبيبة ومحامية وصيدلية وموظفة في البنوك والدوائر الحكومية وصار لها مساهمة في الشئون السياسية أيضاً فضلا عن الثقافية والاجتماعية .

ولقد أسست العراقية الجمعيات شأن أختها في الأقطار العربية الأخرى . وراحت هذه الجمعيات تطالب بحقوق طبيعية للمرأة وأبرزها « الجمعية النسائية » التي ترأسها السيدة آسيا توفيق وهبه .

وهكذا تتعلم العراقية فى الخارج أحياناً شأن أختها فى الأقطار الأخرى الراقية نسبيا ، فتعلمت فى أوروبا وأمريكا ومصر ولبنان ، وفى هذين على نطاق واسع .

وفى الأدب تكاد تكون مواهب المرأة العراقية مقصورة على الشعر ؛ فلقد نبغت فيه وحوى القطر العراقى الشقيق أكبر عدد من شاعرات البلاد العربية . وبرزت فى ميدان الشعر الآنسة نازك الملائكة وهى فى المقدمة ، ثم الآنسة عاتكة الخزرجى ، والآنسة مقبوله الحلى ، ثم لمع فى ميدان الأدب الآنسة لميعه عباس الأديبة المتحمسة وصبيحة الشيخ داوود ، وغيرهن .

وفى السياسة ساهمت المرأة العراقية بنصيب لا بأس به رغم أنها لم تعط أى حق فيها . فاشتركت فى المظاهرات الصاخبة ضد معاهدة « بورت سموث » العراقية البريطانية . ومن طريف ما يذكر أن الشرطة كانت تقتل كل من قاد المظاهرات وحمل العلم حتى تقدمت فتاة فحملته عند ذلك كفت الشرطة عن إطلاق الرصاص .

وأما المرأة المصرية التى كانت تبدو زينة بنات الوطن العربى بخفة روحها وجمال عينيها لو أنها اعتنت بجمال جسمها وأخذت عن المرأة الغربية فنها أكثر مما أخذت من أصباغ وجهها .

والكلام هنا سيقل عن المرأة المصرية إذ أنه كما سبق أن قلت

من أن وضع المرأة فى البلد العربى الراقى نسبياً يكاد يكون حلقة متكررة لوضعها فى أى بلد آخر يشابهه فى الرقى أو يقرب منه .

وهذه الأخت العربية نراها فى تقدم مشكور وهى فى فجر نهضتها هذه ، فألفت ما ينيف على المائة جمعية منذ سنة ١٩٢٤ وكان أولها « جمعية الاتحاد النسائى » التى تألفت فى تلك السنة وترأسها الآن العاملة الاجتماعية السيدة ناهد سرى .

وكذلك تبع هذه جمعيات كثيرة ، أهمها «جمعية المرأة الجديدة» التى ترأسها السيدة هدية بركات ، وجمعية « مبرة محمد على » وترأسها نفس السيدة أيضاً ، وجمعية « رعاية الأحداث » وترأسها وصفية شكرى و« اتحاد بنت النيل » وترأسه السيدة درية شفيق التى ألفت أيضاً اتحادا آخر كبيراً شاملا تحت اسم « اتحاد بنت العروبة » الذى هو عبارة عن تفاهم بين نساء العرب فى كل أنحاء الوطن العربى وتقارب فى الأهداف والجهود ، فشمل هذا الاتحاد أكثر الجمعيات النسائية فى الوطن الكبير وامتد حتى المغرب العربى حيث ساهمت فى فكرته تونس ومراكش والجزائر وبرز اسم الأميرة عائشة فيه ابنة سلطان مراكش والفتاة الناهضة المتحررة الثائرة على وضع المرأة فى بلدها وهى ترزخ تحت الكثير من الظلمات .

وأما فى الصحافة فلم تتقدم المرأة المصرية تقدمها فى الأدب ، إذ كادت تقتصر على الجهود المشتركة فى الصحف التى أنشأها الرجال

لولا أن أنشأت الدكتورة درية شفيق «مجلة بنت النيل» الشهرية .
ولولا أن ظهرت مجلة «الألوان» لصاحبتها الأديبة السيدة سنية قراعة.

وفى ميدان الأدب برزت المرأة المصرية كأروع ما تكون الأديبة البارعة ، فألفت الكتب وملأت بحور الصحف وساهمت فى تحرير المجلات بل ورأست التحرير فى أحيان كثيرة ، فخلقت فى دنيا الأدب الدكتورة سهير القلماوى والدكتورة بنت الشاطئ والسيدة أمينة السعيد .

وفى عالم الشعر لم تشأ المرأة المصرية أن تسمو سموها فى عالم الأدب . وكادت أن تتوارى عن عالم الشعر ذاك لولا أن لمع فى أفقه نجم باهر وهو السيدة جليلة رضا الشاعرة الرقيقة صاحبة ديوان « اللحن الباكى » والتى ملأت فراغ الشعر عند المرأة المصرية الذى حل منذ وفاة عائشة التيمورية الشاعرة المصرية المجيدة . وهكذا بدت فى الأفق أيضاً الشاعرة الرقيقة السيدة زينب حسين وكذلك الآنسة روحيه القلينى .

هذا كما أن المرأة السودانية فى جنوب الوادى التى نستطيع أن نعدها قسما من المرأة المصرية ، تستيقظ وتتحرك للنهوض واللحاق بأخواتها العربيات ، فألفت فى الخرطوم وأم درمان جمعيـــة « الاتحاد النسائى السودانى » وجمعية « تحرير المرأة السودانية » هـذا وقد نالت حقها أخيرا بالتصويت للانتخابات الذى اقتصر على المتعلمة منها .

هـذا عرض لبدء تخلص المرأة العربية من ظلمات الماضى فى الأقطار الراقية نسبياً ، وخطوط رئيسية لتحركاتها وهى فى فجر نهضتها . وأما أوضاعها فى الأقطار الباقية فهى متشابهة فى الضعف وقد مر وصفها فى مطلع هذا الكتاب .

وكل ما أرجوه ويرجوه كل وطنى مخلص أن تعم النهضة النسائية كل أقطار وطننا العربى . وأن تتجه هذه النهضة نحو التفكير العميق فى مصلحة الوطن ؛ فتعطينا المربيات المتنورات من الأمهات الفاهمات لمستلزمات أمتنا المتألمة ومجتمعنا المريض لا المحاميات والمهندسات والصيدليات ، وتصنع لنا من الزوجات الحكيمات المتزنات أكثر مما تصنع من الموظفات السياسيات وغير السياسيات ؛ لأن المرأة كما يعلم كل إنسان أم الأمة وصانعة الأجيال .

وَعَايِشْنا .. هذِهِ النّائِمة ...

في قطر عربي ناشىء تقبض عليه اليـد الانكليزية ويتكالب على خيراته الـكثير من أمم الغرب ، التقيت بسيدة أمريكية موظفة بإحدى مصالح أمريكا فيه ، وقد قدمت حديثا إليه . وكانت لاتفارق شفتيها لفظة (Savages) أى (متوحشون) تقولها باستمرار وهى تتحدث ، ناعتة بها أهل تلك البلاد التى تعيش تحت سمائها وتغترف من خيراتها .

ولما سألتها عن الدافع لأن تـكرر هذا الوصف لذلك الشعب الوادع . قالت : « همجية العرب فى كل صحرائهم الواســعة ، ولعل هذا الشعب المتأخر فى هذا القطر هو خيرهم ، أليس كـذلك ؟.. »

ولم تـكن تعرف أننى من هذا الشعب الذى تنقم عليه ، ولما بينت لها ذلك وأننى من هؤلاء الناس الذين يعيشون فى الصحراء كما تقول ، ورحت أبين لها النصيب الملحوظ من الرقى والعمران الذى وصلت إليه البلاد العربية على العموم وأروى لها كيف أن هذه البلاد تخرج من عهدها المظلم الذى سببه لها المستعمر وأشرح لها كيف أن فجر النهضة العربية بدأ يمتد فى آفاق الوطن العربى من أقصاه إلى أقصاه ، وكيف أن فـكرة الوحدة العربية قدبدأت توحد الصفوف وتجند لتحقيقها القوى العربية التى تهفو إلى الانطلاق .

عند ذلك رأيت تلك الأمريكية تردد فى دهشة بالغة أنها لا تكاد تصدق هذا وأنها عاشت سنين طوالا فى وطنها أمريكا على فكرة توحش العرب التى تملأ حياة قومها هناك بامتلاء صحفهم بها ، حتى أنها عندما قدمت لهذا القطر العربى الذى تسكنه ، اصطدمت بحقيقته ، إذ رأته على تأخره أحسن حالا مما كانت قد أخذته عن بلاد العرب من فكرة سيئة بسبب دعايات أعدائهم فى الغالب كما قالت ، لذلك اعتقدت أن هذا البلد قد يكون أكثر هذه البلاد تقدماً . . .

ثم بعد ذلك قالت فيما يخص فلسطين واللاجئين ، أن أكثرنا لا يعرف أن للعرب لاجئين . فكل ما نعرفه أن اسرائيل قد حضنت سكان فلسطين العرب الهمج الذين هم أشبه بالهنود الحمر ، حضنتهم لتمدنهم ، إلا ما شذ ممن هربوا من بلادهم محتجين على وجود اليهود معهم وفضلوا الإقامة فى البلاد العربية مكتفين فى عيشهم غير محتاجين .

ويقول لى سائح انكليزى وأنا استطلع آراء الأجانب فى بلادنا وخاصة بقضية فلسطين واختبر معلوماتهم عنها ، قال بعد أن أطال فى تبيين جهل شعبه لوضع العرب كأمة محترمة وشعب يقترب ، على العموم ، كثيراً من الرقى ، وبعد أن تحدث عن جهلهم لحقيقة قضية فلسطين بالنسبة للعرب ، قال : إننى للآن منذ أن جئت من بلدى أى منذ شهر تقريبا ما زالت الدهشة مستولية على حسى وأنا أرى معظم البلاد العربية التي أجول فيها ، أراها بهذا العمران وأرى

شعبها فى هذا التقدم . فلقد كنت اعتقد أن بلادكم فى غاية التأخر بل إنه كثيراً ما كان يصلنا عن البلاد العربية أنها بلاد أبعد ما تكون عن العمران والمدنية ، يسكنها شعب أقرب إلى البدائيـة ، ويعيش الـكثيرون منه فى خيم فى صحرائه الشاسعة . ولـكن ماذا أرى الآن ؟ إننى لا أ كاد أصدق عينى ، أرى شعباً له من الرقى نصيب ، وأرى بنايات شاهقة وشوارع معبـدة جميلة ومغروسة أحياناً ، ومتاجر كبيرة ، ومقاهى ومسارح ، ومدارس ، وجامعات ، وسيارات ، وشركات بل ومشاريع كبرى . ما هـذا ؟ إننى غير مصدق . لماذا نحن فى بلادنا عميان عن هـذه الحقائق إلى هذا الحد ؟ . . ومن هو الذى أعمانا ؟ . . من المسئول ؟ . .

ثم استرسل الانكليزى فقال فيما يخص فلسطين : « إن المعلومات التى تصل إلينا وتعيش بين الـكثيرين فى بلادنا هى أن اليهود يتمنون الصلح مع البلاد العربية ليستطيعوا الدخول إليها وتمدينها ، وأنهم أخذوا فلسطين التى هى وطنهم الأول على هذا الأساس ولأنهم أولى بها من أهلها الهمج المغتصبين المتوحشين . . . »

ويقول لى سائح آخر من الأمركيين : « لقد كنت أومن إلى عهد قريب بمعلومات رأيتها فى منتهى البطل والجور على الحقيقة بعد ذلك ، وهى ان سوريا ولبنان هما من إسرائيل يسكنهما يهود من الصهاينه . . . ولعمرى إنها لوقاحة ودناءة فى هذه الدعاية اليهودية التى يضللنا بها أبناء صهيون ! فأين إخوانكم أنتم العرب ؟ . ومن

منكما أنتم أمة العرب أو إسرائيل المسئول عن تضليلنا ؟ . . . هل هى الدعاية الصهيونية أم هو صمتكم عن هذه الدعاية . . . »

وهذه الاشياء صارت عادية عند الاوروبيين كلهم ، ومبعوث الرابطة الألمانية العربية فى مصر يصرح لنا أنه كان يظن أن صحف مصر تكتب باليد .

ثم تصرح بعد ذلك السيدة شهريان لويس ناصيف ؛ الأمريكية المولد والنشأة ، والعربية الأصل التى قادت فى أمريكا حملة جمع الإعانات والملابس للاجئين العرب ، المنبثقة عن جمعية الأحلاف السورية اللبنانية فى أميركا . قالت : « إن معظم الأمريكيين الذين طلبت منهم أن يتبرعوا كانوا يجهلون حتى وجود اللاجئين العرب ويقولون « نحن نعلم من جرائدنا أنه يوجد لاجئون يهود ، علينا مساعدتهم أما العرب فمن طردهم من بلادهم يا ترى ؟ . . . »

ثم تقول ، « لقد كان هذا الاعتقاد عند الأمريكيين يعرقل مساعينا فى جمع الإعانات للاجئين العرب من السكان والهيئات فى أميركا . فأين هم العرب وأين ضخامتهم فى دولهم السبع ؟ وأين صوت دعايتهم ؟ فهل نام وطنى الأول يا ترى ؟ . . أم أنه قد مات ؟ . . . »

نعم هل مات الوطن العربى أم أنه غارق فى سبات من النوم العميق ؟ . . . ولقد طال هذا النوم وضربات الأحداث تتوالى فوق رأسه ويد العدو تعبث فى كيانه ومصيبة فلسطين تعصر قلبه ،

المتحد ٥٦

وشعوب العالم جاهلة حقيقة مأساته ، لأنها لا تسمع صوته ، ولأنه غارق سبات عميق ؟ . . .

لقد صمتنا عن دعايات اليهود ضدنا التى ضللت العالم وخاصة أميركا التى يكاد يكون تسيير السياسة العالمية بيدها ، فخسرنا رأى شعبها فى قضية فلسطين ، وأظهرتنا تلك الدعاية همجاً متوحشين كما كان الهنود الحمر عندما حق لجدود هؤلاء الأمركيين مقاتلتهم ودخول بلادهم لتعميرها .

وهكذا ظهرت قضية فلسطين للعالم بهذا الشكل المشوه المكذوب . . . وهكذا أماتتها الدعاية الصهيونية أمام الكثيرين وأخفت أخبارها فى كثير من البلدان ، الأمر الذى جعل أولئك الكثيرين من الأميركيين يبدون تعجبهم متسائلين « من الذى طرد العرب الفلسطينين من بلادهم ؟ . . . » وبذلك توارت حقائقنا عن عالم الغرب وخرس صوت الحق فينا ، ودعايتنا مستمرة فى نومها العميق . . .

ولا أدرى لماذا نجهل كم يكلفنا هذا التقصير فى الدعاية من خسائر فادحة لاتعوض ؟ . . . بل لاأدرى لماذا يغيب عنا الآن — ونحن مازلنا فى تقصيرنا هذا — أن خسارتنا لفلسطين كان من أسبابها الكبرى تقصير دعايتنا عن إظهار حقوقنا للعالم ، وطغيان

الدعايات الصهيونية ضدنا على أفكار هذا العالم فكسبت اسرائيل عطفه واحترامه وتأييده .

فهل نجهل أهمية الدعاية فى الأمة يا ترى ؟ . . . أم نتجاهلها ونحن نرى بأم أعيننا كم تتكالف الأمم المتنورة الواعية من مبالغ للدعاية لنفسها ، ونرى أيضاً ونحس بل ونلمس نتيجة دعايات اليهود التى كان لها اليد الطولى فى هزيمتنا بفلسطين ، وتنكر العالم لنا وتألبه علينا باعترافه بإسرائيل وتثبيتها دولة مستقلة فى قلب وطننا ؟ . . . .

وكيف لم نتعظ من هذا كله ونعوض مافات ، ونار هزيمة فلسطين ما زالت تحرق نفوسنا ، واحتقار الشعوب الغربية لنا ما زال يطعن في كرامتنا ويضيعب معنوياتنا ، ودعايات اليهود ضدنا ما زالت قائمة على قدم وساق ؟ . . .

وإننا ونحن نتحفز لوثبتنا الكبرى ، ولطرد العدو من أرضنا وإستعادة فلسطين الأسيرة ، هل يليق بنا أن نظل صامتين وتظل دعايتنا غارقة فى سباتها العميق ؟ . . .

فأين المسئولون في أقطارنا لا يوجهون الاهتمام إلى هذه الناحية، وهى كما رأينا من الخطورة ؟ . .

بل أين إرادة الشعب العربي في كل نواحي بلاده لينقذ كرامته من الدعاية الصهيونية ضده ، وينقذ مصلحته التى هي بين براثن

دعاية اسرائيل في الغرب ، أين هي لتجمع المال وتجند العزائم لتتبنى هذه المهمة وتجعل من كل فرد من مغتربينا وطلابنا وسواحنا في الغرب داعية لهدم ما تبنيه أباطيل اسرائيل بل تجعل من كل منهم مركزاً للدعاية العربية هناك ؟ . . .

أين هذا كله ونحن في فجر نهضتنا الذي نريد أن يعم نوره الوطن العربي كله ، فلا يدركه خطر اسرائيل ولا خطر دعايتها القتالة لنا ؟ . . .

ولقد أدرك هذه الحقيقة أحد قادة العالم العربي الذي لفت أنظار شعوب العالم إلينا بنجاحة في مؤتمر « باندونج » وهو جمال عبد الناصر منقذ مصر ، فعمم على الطلاب المصريين في الغرب أن يكون كل منهم ذلك الداعية لخير أمته ، وأحد ألسنة الدعاية العربية هناك لقضية فلسطين ، فاذكى هذا العمل نور الوعي العربي في أفئدة هؤلاء الطلاب ، فوصلوا إلى نتيجة جيدة في المهمة السامية التي كلفهم بها رئيسهم الحازم الواعي .

فلماذا لا يقتدي به بقية الزعماء العرب ؟ ولماذا لا يبدأون هذه الخطوة الجدية الفعالة فيخرجون بنا من عهد الجمود والتراخي والإهمال والتقصير في حق أنفسنا ؟ . .

بل لماذا لا يهتم المسئولون في الوطن العربي أكثر من ذلك ، فيقوون أيضاً مراكز دعايتنا في الغرب بشكل فعال ويعممونها

لنستطيع تبيين حقوقنا للعالم وإنقاذ مصلحتنا وتغطية ماتنشره الدعاية الصهيونية هناك من أباطيل ؟ . .

إننى لا أعتقد أنه ينقصنا المال لتحقيق هذه الفكرة الجبارة وليس من مشروع فى بلادنا يستحق البذل أكثر مما يستحق تحقيق هذه الفكرة . كلا ولا أظن أن المانع هو جهلنا لقيمة هذه الفكرة ونتائجها ، وكل منا يعرف أن الدعاية نوع فعال من السلاح نشهره ضد العدو وننتزع بواسطته حقوقنا . هى نوع من السلاح ، تماماً كالمدفع وكالطائرة القاذفة ، والدبابة ، والسفينة الحربية ، وكالبندقية والحربة ، إنها كالأسطول البحرى ، وكالأسطول الجوى ، ومثل السلاح البرى ، بل وتفوق هذا كله بأنها أحكم إصابة ، وأبعد مدى وأعمق تأثيراً ، وأقل جهوداً وتضحيات ، وأضأل تكاليف وآمن عاقبة .

وهى حرب هادئة باردة مسالمة تمهد لنا طريق النصر فى حربنا المنتظرة لإنقاذ الوطن المغصوب ، فلسطين .

فهل سينتبه العرب إلى هذه الحقيقة فى كل أنحاء الوطن الكبير وهل سيثور الوعى العربى فى الصدور ليقول كلمته فى توحيد أصواتنا لتستطيع هذه الأصوات أن تصل إلى الخارج قوية واضحة صادقة ؟ .

وهل ستسارع حكومات العرب إلى تحقيق فكرة الدعاية القوية الواسعة هذه بعد أن طالما تخلت عنها وتجاهلت نتائجها العظيمة الفائدة لنا ، فتباشر تحقيقها ونحن على أبواب معركة فلسطين الفاصلة ؟ . . .

إننا ننتظر ولا نريد أن نصبر طويلا فى هذا الانتظار . . .

نحنُ عائدونَ ...

— نحن عائدون —

نحن عائدون ، هى العبارة التى اتخذها مواطنونا الفلسطينيون العرب رمزا لشعورهم نحو الوطن المغصوب ، وعزمهم القوى على استعادته ، وإيمانهم الراسخ بالنصر الأكيد . .

وهذه العبارة الحبيبة إلى نفس كل عربى مخلص هى المعنى الذي يمور فى نفوس الخلص من أبناء العروبة فى كل أنحاء وطنهم الكبير ، ويغلى فى أحاسيسهم فيستحث خطاهم فى طريق النصر . . إلى معركة فلسطين .

ولقد أزفت الساعة . وكل ما حولنا يدل على اقتراب المعركة ، والصهيونى يرفع عقيرته داعيا إليها ومهددا بالهجوم على سوريا فى هذا الربيع ، يدفعه إلى ذلك أجله المحتوم ، وأسود العرب تتحفز للوثوب . وكل معنوياتنا تردد أن أعصابنا أقوى من سلاحهم وأن سلاحنا أمضى من عزائمهم ، وزعيم مصر العربية جمال عبد الناصر يهتف فى خطابه التاريخى فى التاسع عشر من شباط فى هذه السنة يحيي به فوجا جديدا من النسور المصريين يوم تخرجه فيقول : أن مصر العربية وسوريا هما رجل واحد . . فلن يخيفنا ما يسمونه هجوم الربيع ولا تهديد الصهيونى كما لم يخفنا من قبل ، فأهلا بمعركة النصر .. وإنا لها لمنتظرون . . »

وهكذا يتحفز العربى المخلص ليواجه المعركة بقلب جديد ومعنويات جديدة وإحساس جديد ، وهو الإيمان بقضيته والشعور بكرامته القومية وقد أطل عليه فجر الوعى العربى الجديد .

فلقد آن الأوان لضرب الصهيونى المغتصب الدخيل بعد أن طال ما صبرنا ولم تعد الحال تحتمل أكثر من ذلك ، والوطن ينوء تحت ثقله ، وكرامة الوطن مطعونة فى الصميم .

نعم إن وجود دولة العصابات هذه فى قلب وطننا هى ليست مسألة خطر على كياننا فقط وتشريد لأصحاب فلسطين الأصليين ، بل إهانة لكرامتنا أيضا فى أن توجد بيننا ونحن هذا العدد العديد من الأنفس العربية التى لم ترث عن جدودها شيئا أكثر مما ورثت من شجاعة القلب ، وسمو النفس ومن الأباء والشمم .

ولعمرى إن هذا الارث لثروة لا تقدر ، وهذه الثروة من الأحاسيس الفوارة الجياشة العارمة فى نفوسنا هى التى ستنطلق بنا إلى فلسطين حيث كرامتنا أسيرة بين يدى صهيون ، وهذه الثروة من المشاعر الصارخة فى أعماقنا هى التى ستسرع بنا فى طريق الخلاص . . إلى قلب فلسطين . .

فأهلا بالمعركة الحاسمة ، وأهلا بتباشير النصر . . أهلا بمعركة فلسطين . .

نعم أهلا بها . . ولبيك يا فلسطين ، وهذه الصيحة التى تتردد فى العالم العربى الآن يتجه إليها إحساس كل عربى مخلص لعروبته . ويعور بها قلب كل مواطن وفى لوطنه ، وقد حلت الساعة الفاصلة فى هذا الربيع الذى بلغت فيه اعتداءات اليهود أشدها والتى أفعم فيها إحساس العرب بالخسارة الكبرى، خسارة فلسطين ومن ثم كرامتنا بعد فلسطين . .

نعم أهلا بمعركة الخلاص هذه ، خلاص مليون من الأنفس العربية التى تعيش فى جحيم ، وخلاص الكرامة العربية التى تأبى الأستكانة فى قبضة إسرائيل . . وخلاص تلك البقعة العزيزة من الوطن الأم . . فلسطين . .

ولن تتزعزع قوانا هذه المرة ، ولن تتفرق كلمتنا ونحن نخوض المعركة المقدسة . . كلا لن نتلكأ فى طريق الخلاص ، ولن نيأس من الانتصار ما دام قد طلع علينا فجر الوحدة الكبرى والوعى العربى الجديد .

فأهلا بمعركة فلسطين فى هذا الربيع . . وأهلا بهذا الربيع يحمل إلينا تباشير الخلاص ، وبشائر العودة . . ولبيك يا فلسطين ها نحن عائدون . . .

أ

فهرس